مکتبتنا العربية

غرة صفر سنة ١٣٧٥

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

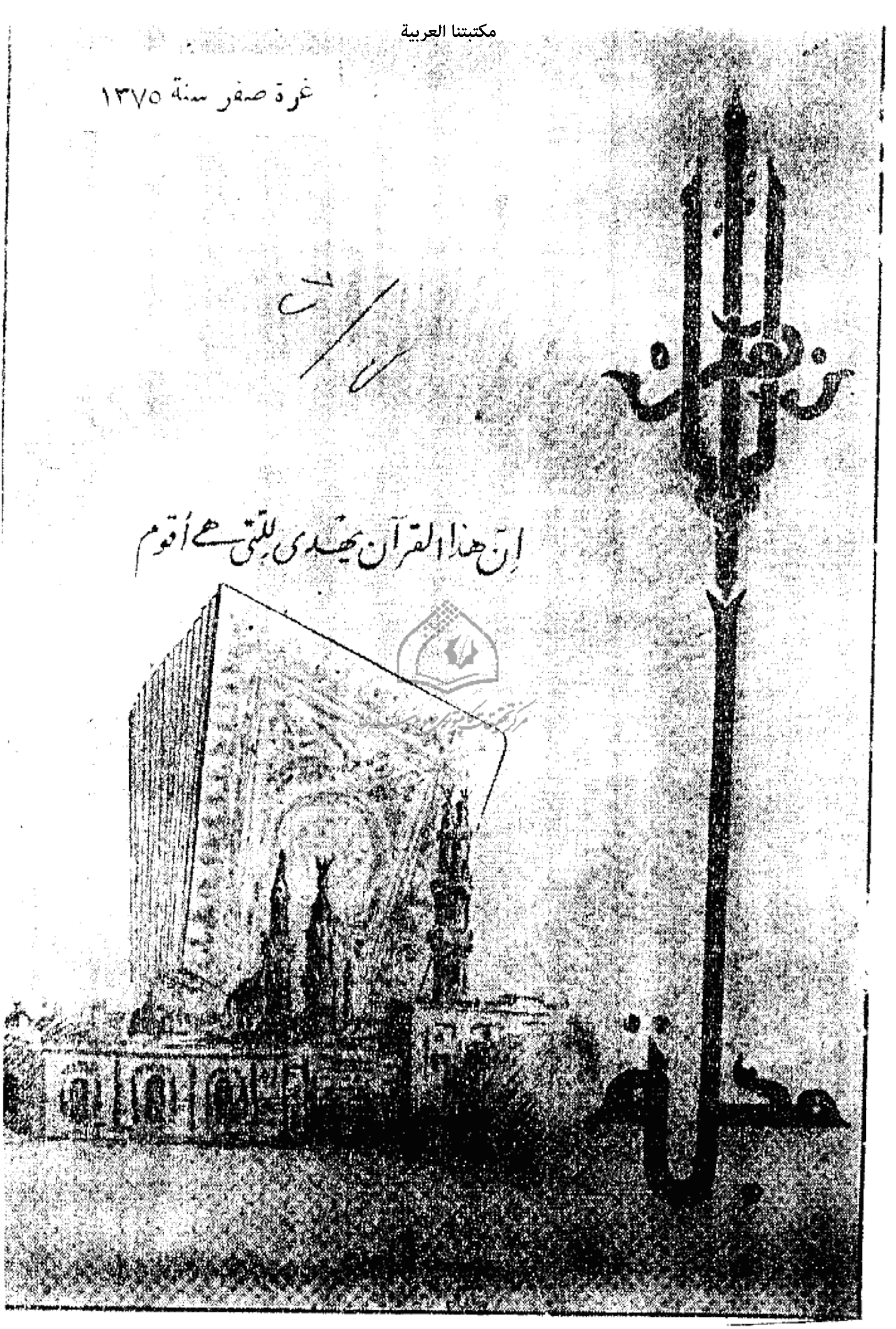

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

من شعب الى شعب

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر

هذه كلمة طيبة أتوجه بها - بعد عودتى من رحلتى إلى بلاد أندونيسيا - إلى الشعبين الكريمين : الشعب المصرى ، والشعب الأندونيسى .

أما إلى الشعب المصرى فإنها رسالة كريمة وأمانة عزيزة حملنى إياها أهل اندونيسيا ، وكلفونى أداءها إلى الشعب المصرى الذى يعتزون بأخوته ، ويفرحون لنهضته ، ويغتبطون للموافقات الطيبة التى جمعت الشعبين على الاحتفال بأعيادهما الوطنية : أعياد التحرير والاستقلال والقضاء على قوى الاستعمار والاحتلال التى كانت جاثمة فى أوطانهما ، عاملة على إذلالهما ، معوقة نهضتهما ، مبتزة كل ما فى البلاد من خيرات وثمرات .

قد وفق الله الشعبين فى القضاء على هذا الاستعمار وهذا الاحتلال بعد جهاد طويل ، وكفاح مرير ، وصبر وثبات ، وعزيز تضحيات ، فهما صنوان فى الجلاد والكفاح ، وهما جديران بما أحرزا فى ميدان البطولة والوطنية من نصر ونجاح ، وهما - قبل هذا وبعد هذا - اخوان فى الدين ، تجمعهما وحدة الإيمان ، ويعتزان بعزة الإسلام .

كلفنى أهل اندونيسيا أن أبلغ عنهم أهل مصر تحيات طيبة عطرة ، وتمنيات خير خالصة مخلصة ، وضراعة إلى الله أن يديم الألفة والمحبة والتعاون البار بين الأمتين العظيمتين ، وأن يقوى عزم الأمم المهضومة المظلومة التى تعمل للخلاص من سيطرة الاجنبى المتغلب ، حتى تدرك غايتها من العزة والكرامة والاستقلال .

إن أهل اندونيسيا جميعاً بلا فرق بين عامتهم وخاصتهم ، وساستهم وزعمائهم ، كانت تلهج دائما ألسنتهم الرطبة - فى كل مجتمع وفى كل احتفال أقيم لاستقبال ضيوفهم ، فى مدرسة

من شعب إلى شعب

أو كلية أو معهد أو قصر حاكم أو مقر ضيافة — بعبارات الثناء الفياض والشكر الخالص لمصر ، على أن كانت أول دولة اعترفت لاندونيسيا باستقلالها ، وعزة دولتها ، وشرعية حكومتها .

يعرفون ذلك لمصر عرفانا جميلا ، ويشكرونه شكراً قوياً مؤثراً ، يدل بقوته وبالغ تأثيره على مايحمله أصحابه من إيمان ويقين ، وإخلاص قلب ، وطهارة نفس ، وعظيم تأثر بالمعروف ، وكمال ارتياح إلى التعاون على الخير ، والاخذ بأسباب المودة الشاملة والإخاء الطاهر النبيل .

* * *

وأما أهل اندونيسيا فإنى أسوق إليهم وإلى إخوانهم وخلطائهم وأنسبائهم ومواطنيهم من أهل الجاليات العربية الكريمة ، أجمل عبارات الشكر ، على ما لقينا منهم جميعاً ، حكومة وشعباً ، من حفاوة وتكريم ، يعبران أصدق تعبير ، عن روح الإخلاص والمودة ، وعن العاطفه الأصيلة الطيبة نحو مصر ونحو الأزهر ، الذى يرونه الكعبة المقصودة التى تتجه إليها أنظار العالم الإسلامى جميعه ، فى كل مايريد من المعارف الدينية والثقافات الإسلامية .

وأحيي فيهم الإيمان العميق ، والوطنية الصادقة ، والتدين المتين ، الذى تتجلى مظاهره الجميلة فى كل موطن وفى كل مرفق : فى المسجد والمدرسة ، والبيت والشارع ، والمصنع والمعهد

أحيي فيهم النشاط ، وحب النظام ، والجد فى العمل ، والتوثب نحو الكمال فى هدوء وفى غير جلبة ولا صخب ولا ضوضاء .

يأخـــذون بالصالح النافع فى مختلف شئونهم ومنشآتهم : فى ملابسهم ومساكنهم ومساجدهم ، وفى دور التعليم من مدارس ومعاهد وكليات ، لا يعنون كثيرا فى كل هـذه الشئون والمنشآت - وراء مراعاة النظافة وحسن التنسيق - بمعقدات النقوش والزخارف ، فالطابع الغالب على منشآتهم النظافة والبساطة ، حتى القصور الواسعة الفخمة تجدها مؤثثة أجمل أثاث وأوفاه ، بما يأتلف ونخامتها ومكانة أهلها ، ولكنه يسترعى نظرك فيها البساطة والجمال ، والذوق السليم ، والبرامة من حشد الزخرف وافحط النقوش .

مكتبتنا العربية

من شعب إلى شعب

وإن الشعب الذى يراعى فى شئونه هذه البساطة الجميلة ، ويتوافر له حب النظافة والنظام ، والهدوء فى سير الحياة ، مع النشاط والجد فى العمل ، لهو شعب واع حق الوعى ، وهو جدير بكل رقى وتقدم ، وكل عزة وسعادة .

أيها الاندونيسيون :

إن ما لقيناه فى رحلتنا إلى بلادكم العـــزيزة من الحفاوة العظيمة والاستقبال الفرح الكريم ، الذى كان ينبعث عن روح طيبة ، صادقة مخلصة ، ليذكرنا بروح الإسلام الفتية ، فى نشأته القوية ، ويدلنا على مدى تمكن المبادىء النبيلة فى النفوس الطيبة ، تلك المبادىء التى تربطنا بكم ، وتربطكم بنا ، وهى التى أسسها الإسلام ، وطهر بها المسلمون كل ما حولهم من رجس الوثنية ، وخلصوا بها الناس من ربقة الذل ، وطغيان الاستغلال والاستعمار .

ولقد أعلنتم للعالم بهذه الحفاوة الكريمة ، وهذه الروح الطيبة ، أننا جميعا أخوة ، أمرنا واحد ، كما أن ديننا واحد ، وأن الاستعمار الذى حال بيننا وبينكم تلك القرون الطوال ، لم يستطع أن ينال من تلك الوحدة ، أو يضعف من هذه الروح الإسلامية القوية ، الصابرة المصابرة ، التى لا تعرف الوهن ولا الاستخذاء .

فأهنئكم بهذه الروح الإسلامية القوية ، وأرجو أن تظل دائما هذه الروح قوية صامدة أمام ما يهب على العالم فى الأوقات الحاضرة من الزوابع والتيارات المنحرفة عن جادة الحق والاستقامة .

وأضرع إلى الله العلى الكبير أن يحوط بلادكم العزيزة بعنايته وجميل رعايته ، وأن يجمع قلوب الشعوب الإسلامية على كلمة الحق ، ويوحد جهودهم لإعلاء شأن الإسلام ، ونشر راية الأمن والسلام ، إنه سميع مجيب . ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي

مليم ٤٠٠	في وادي النيل
٥٠٠	لطلبة وادي النيل
٣٠٠	للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠	خارج الوادي
٣٠٠	للطلبة خارج الوادي
٤٠٠	للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الثاني ـ القاهرة في غرة صفر ١٣٧٥ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سفراء التربية والتعليم

تستقبل بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامي في هذا الشهر سفراء من رجال التربية والتعليم في وادي النيل فارقوا أهلهم وديارهم، فحملت بعضهم الطائرات في الجو، واستقل آخرون منهم السفن في البحار، أو السيارات في الأودية والقفار إلى أقوام نشاركهم ويشاركوننا في العقيدة الإسلامية والعمل بالشريعة المحمدية إن لم نشاركهم ويشاركونا — مع ذلك — في لغة الضاد وآدابها وثقافتها وأمجادها. واذا كان سفراء وزارات الخارجية يحملون معهم إلى ميادين عملهم رسالة دقيقة يحرصون على ألا يحيدوا عن حدودها قيد شعرة وإلا تعرضوا للمؤاخذة من مراجعهم التي يمثلونها ومن البلاد التي ندبوا للعمل فيها فأن الرسالة التي حملها في هذا الشهر سفراء التربية والتعليم من أبناء وادي النيل إلى بلاد العروبة وأقطار الوطن الإسلامي لاشك أنها من أخطر ما يحمله الناس للناس، ومن أعظمه أثرا.

إن الأقطار الشقيقة التي تستعين برجال التربية والتعليم من شبابنا لم تستعن بهم إلا لأنها في دور التكوين ولأنها في صدد إقامة الأسس لمعارفها، أو هي أقامت الأساس منذ عهد قريب وتحاول أن تشيد عليه بناء ثقافتها وكفاءاتها ونهضتها. وهي لم تستعن على ذلك بشباب مصر إلا لأنها رأت مصر أهلا لحمل هذه الأمانة فاستعانت بهم في وضع ذلك

مكتبتنا العربية

الأساس أو فى إقامة صرح المستقبل عليه . وابن مصر الذى ندبته أمه لهـذه السفارة ، ينبغى له أن يكون عند حسن ظن مصر به فيحسن تمثيلها . ويعلم أن له فى البلد الذى ذهب إليه رسالة سامية شاءت له الأقدار أن يحملها ، وأن عليه أن يعمل بهذه الرسالة وأن يجعلها نصب عينيه فى جميع تصرفاته .

ستتحدث هذه الأقطار يوم تكتب تاريخها بأن الأساس الذى قامت عليه معارفها قد شارك فيه فلان ، وكان من أثره فى الخير ـ أو الشر ـ ما سيتحدث به التاريخ . فيعمل كل سفير من سفراء التربية والتعليم على أن يكون لعمله من الأثر ما يبيض به وجه مصر ، ويساعد على تكوين كيان العروبة والإسلام ، لينحدث التاريخ غدا عن نتائجه المباركة فيطيب الثناء عليه من الله والناس .

العالم الإسلامى اليوم فى مرحلة انتقال ، وسيرى سفراء التربية والتعليم من شبابنا ، فى كل بقعة من العالم الإسلامى يعملون فيها ، أن المسلمين مغتبطون بأسلامهم ، ويريدون أن يعيشوا به ويلقوا الله عليه . ولأجل هـذا الإسلام كانوا ـ وما زالوا ـ يقاومون الاستعمار ، ولأجل تجديد شباب هـذا الإسلام أسسوا المدارس التى دعوا إليها سفراء التربية والتعليم من رجالنا ليتعاونوا معهم على إقامة صرح مجتمع جديد يكون إن شاء الله قويا بدينه ، قويا بأخلاقه ، قويا بعقله وجودة تفكيره ، قويا بعلومه التى يقيم بها الصناعات الضرورية له فى مرافقه وعمرانه وتنظيم أداته الحكومية وجيشها الفتى السليم .

المدرسة هى المصنع الذى يتخرج فيه الجيل الصالح لإنشاء مثل هذا المجتمع ، والمدرس هو صانع الجيل ، والرسالة التى يحملها المدرسون المصريون الذين سافرت بهم الطائرات والسفن والسيارات إلى الأقطار الشقيقة فى هذا الشهر هى العمل على تكوين هذا الجيل القوى ، ليضطلع بأعباء هذا الشرق الإسلامى فى عشرات السنين القريبة ، وتكون منه بالإنسانية كتلة نشيطة بارعة خيرة شفاها الله من الخمول الشرقى القديم ، ونزهها عن أنانية الاستعمار الغربى المعاصر .

كانت أقطار الشرق الإسلامى منحلة متقاطعة ، غارقة فى حمأة الجهل والخرافات والضعف ، فلما آذن الله بزوال ظل الاستعمار الممقوت عن كثير من تلك الأقطار ، دبت فيها روح اليقظة ، وشرعت تجدد شبابها ، وأخذت تعرف للاسلام ـ دين الحيوية والقوة ـ قدره وأثره فى نهضتها وفى اتجاهها وجهة التعاون ، فمدت يدها إلى مصر تستعين

مكتبتنا العربية

بمدرسيها ؛ وكانت بسبب ذلك هذه البعوث والانتدابات المدرسية والثقافية من كل لون، والغرض منها التعاون على إقامة المجتمع الصالح فى تلك الأوطان وتكوين الجيل الذى يتولى فى المستقبل القريب قيادة ذلك المجتمع ؛ وسيكون من أثر هذا الاتصال بعد التقاطع تعاون بين أمم الشرق الإسلامى فى كل ما تشترك فيه من ثقافة وتشريع وتبادل اقتصادى ودفاع متجاوب إن لم يكن مشتركا . وما لم تكن هذه المعانى السامية مما يؤمن به كل مدرس أرادت له الأقدار أن يكون فى عداد سفرائنا إلى تلك الأقطار ؛ فأنه لن يؤدى رسالته هناك كاملة، لأنه لم يذهب إلى هناك ليقتصر عمله على تعليم فرائض الصلاة ونواقض الوضوء وأن الفاعل مرفوع والمضاف إليه مجرور ؛ أو تعليم جدول الضرب ومساحة المثلث ؛ بل هو ذاهب ـ مع ذلك ـ ليساهم فى تكوين جيل قوى يصلح لإقامة المجتمع الصالح فى المستقبل القريب وأن يقوم ذلك المجتمع على أسس الإسلام وآدابه وأخلاقه التى يكون منها للانسانية العنصر الذى هى مفتقرة إليه .

إن المعدن الذى خلق الله منه أبناء العروبة والمتخلقين بأخلاق الإسلام من المعادن الناقلة سريعة الاستجابة ؛ وسيرى فيه المدرسون المصريون القابلية الكاملة لتلقى الحق والإيمان به والتطبع بالخير والاندفاع فى طريقه . وإذا كانت عصور الضعف التى مهدت لكارثة الاستعمار قد أبقت فى المجتمع الشرقى شيئا من جراثيمها فان فى المسلمين مواريث من عناصر الخير ستساعد كثيرا على استئصال تلك الجراثيم حتى ينجلى عن معدن المسلمين الطيب كل أثر لرواسب الضعف المتخلف عن عصور التأخر وحينئذ يعود للعملاق الإسلامى طبعه الخير وبأسه الرهيب وحيويته الأصيلة ولا يتوقف هذا إلا على الجهود الخالصة لله عز وجل التى سيبذلها المدرسون على قدر معرفتهم بمهمتهم واهتمامهم برسالتهم وإيمانهم بثمرات عملهم .

لقد كان المدرس المصرى فيما مضى يمثل وزارة المعارف فكانت مهمته أن يشحن أدمغة التلاميذ بألفاظ وجمل يسمى مجموعها معارف . وأما اليوم فانه يمثل صناعة التربية والتعليم ؛ وكما يجب أن يكون ممتازا فى المادة العلمية التى يتولى تعليمها كذلك يجب أن يكون بارعا حكيما فى صناعة التربية التى هى الشطر الأفضل من شطرى عمله . وأول ما يجب على المربى أن يكون قدوة للذين يربيهم بسيرته وتصرفاته . فالتلاميذ يتربون بالقدوة بمقدار ما ترى عيونهم من استقامة المربى والتزامه للفضائل التى يدعو إليها . وليعلم قبل كل شئ وبعد كل شئ أنه سفير بلده وممثلها وأن عليه رقيبا من الله والناس ؛

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٣٢ —

٢ — مناجاة القرآن للعقل وللعاطفة

«وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا»

١ — عاطفة الأبوة مشبوبة بالحب للبنين ، مغلوبة بالرحمة لهم فى كل حين ، ومهما غفلت عنهم الذاكرة ، ففى النفس حنو كامن عليهم ، وبين طيات القلب شغف دائم بهم وتطلع إليهم . وليس يقنع المرء أن يسعد بهم طول حياته أو يطمئن على هناءتهم فى الحياة قبل مماته ، بل هو يعنى بشأنهم فيما بعد ذلك ، يكاد يذوب خوفا عليهم من صروف الزمن وأحداث الأيام ، وليس يدفع هذا عن الخاطر أو يخفف جذوته بين الضلوع غير إيمان بالله واعتماد فى شأن الأبناء على الله .

٢ — ومن هذه الناحية العاطفية يناجينا القرآن أن نكون رحماء بأبناء الناس ، وبخاصة اليتامى ، فمن شاء لبنيه مرحمة الحياة فليرحم من فى عهدته من أبناء سواه ، وليعلم كل امرئ منا أن ما يزرعه اليوم فى أبناء الغير سيحصده أبناؤه فى غدهم : قولا كان أو عملا .

وشرعة الحياة وعدالة المجتمع وسنة الوجود لا تنكر أن يكون الجزاء من جنس العمل .

وهذا قول ربك فى تذكيره لنا ، وفى تأميننا على أبنائنا « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم — فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا» .

مكتبتنا العربية

٣ — وقديما فطن الناس إلى ذلك بتوجيه من الله ، كما جرى على لسان الخضر مع موسى ـ عليهما السلام ـ فى قصة الجدار المائل الذى تطوع الخضر بأقامته دون مقابل من أجر مادى ثم أجاب موسى عن تعجبه فى صنيع الخضر وتركه للأجرة :

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما، وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما : رحمة من ربك . . » فتبين لموسى ما لم يكن يدريه من أن الله خلف عن الوالد فى ولده إذا كان الوالد حسن الصلة بالله .

وكذلك فطن الناس إلى هذا بعد أن جاء القرآن بتأييد هذه السنة السابقة ، وقد قال قائل: وددت ألا تكون لى ذرية ! فقال له مسلم فطن : إذا أردت أن تأمن على ذريتك بعد فاتق الله فى غيرهم .

ثم قرأ عليه الآية : « وليخش الذين الخ . . . »

٤ — وقد حدثناك أن القرآن يعتمد على العاطفة بجانب اعتماده على العقل ، وأنه من قبل ذلك أمرنا باتقاء الأرحام التى بيننا حتى لا نجحد شأنها ولا نكفر حقها .

وأنه اختص من بين الأرحام جانب اليتيم ، ونبه الأوصياء على أنهم إذا لم يكونوا تحت رقابة أحد . فأن الله رقيب عليهم وكفى .

٥ — وفى سياق الآيات ترى للعاطفة كبير شأن فى نظام الأسرة وشد أواصرها ، والترفق بين الجانبين حينما يأذن الحال بالتصدع .

فالقرآن يقول عن النساء : « وعاشروهن بالمعروف فأن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فهذا ترغيب من طريق تحسين الظن بالمرأة ، وتجديد الأمل فيها ، وتقوية العطف عليها . . .

وليس فى هذا الأسلوب شئ من عنف ، أو تحامل على أحد الزوجين ، وإنما هو أسلوب ودى رقيق ، فيه استمالة للزوج و إغراء له بالزوجة قبل أن تتسع الفجوة بينهما .

٦ ـ ثم تدخل بنا الآيات ـ من طريق العاطفة ـ فى باب اللياقة .

ذلك أن الزوجين قد يتسع الخرق بينهما ، ويحاول الزوج أن يتنحى عن زوجه ويسترد ما كان أعطاها . وهنا يلجأ القرآن إلى استنهاض العاطفة و يوجهها الى ما ينبغى من وفاء فيقول :

«و إن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا»

مكتبتنا العربية

فهو يصرف الزوج عن التطلع الى ما أعطاه للزوجة وإن بلغ قنطارا أو ماهو أكثر .

ثم يشوه المال المأخوذ ويقبحه لينفر الرجل من أخذه ويصف المال بما يزعج النفوس المطمئنة بالإيمان الكارهة للمأثم « أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا » ؟ والمفروض أن المسلم لا يرغب فى البهتان وهو الزور الباطل ولا يرغب فى الإثم فضلا عن أن يكون إثما مبينا .

٧ — ثم يرقى بالعاطفة إلى مقام الوفاء ، ويذكر المرء بما غفل عنه من ذكريات ومودة ، وينبهه إلى حياة سابقة كانت الزوجة فيها أثيرة على المال وأحب إلى زوجها مما سواها « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا » ؟؟

فهذه كلمات فى طيها عتب رقيق لاذع ، وفيها حديث رطب يكف النفس عن سورتها ويرجع بها إلى السماحة ، ويرضخها للمروءة وللكرامة فهذا المال كان مدفوعا الى الزوجة على أنه نحلة خالصة لا علاقة للرجل به بعد أن تملكته منه .

وكان مبذولا من جانب الرجل لأنه أقدر على البذل وهو وسيلة الى تحصيل رغبته ولتتمكن الزوجة أن تهيئ نفسها للزوج ثم هو صاحب اليد العليا فى الحياة الزوجية فأذا كان البذل من جانبه فى ساعة الرغبة فما ينبغى أن يرجع فيه بعد استيفاء الرغبة وطروء الزهادة .

وإذا كان الزهد عاملا عمله فعلى الرجل أن يتحمل غرمه بعد أن ظفر بغنمه حتى لا يكون الزواج مغرما على المرأة فى نفسها وفى مالها .

« وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » . أفتدرى ما هنا من روحانية الأسلوب ؟ .

أوتدرى ما هنا من سمو الخطاب والترفع بالإنسان عن درك الخصومة الى أوج لم يكن يقدره لنفسه ؟ .

نعم : أفضى كل من الزوجين إلى صاحبه بما ليس بعده سر يصان ؛ ولا مثله نفيس يضن به على الغير ! !

هو الحب ملء الفؤاد وهو النجوى بما انطوت عليه الضلوع وهو العرض والحياء فى ظل الثقة والأمان وفى ضوء العهد ومظنة الوفاء . . أليس هذا كله ميثاقا ؟؟ وأى

مكتبتنا العربية

ميثاق أغلظ منه بين إنسان و إنسان كما شهد الله؟!. هذا مجال العاطفة وسياق المناجاة هـ . وهى هنا خير وسيلة فى التأثير .

٨ — ولكن العاطفة ليست دائما وسيلة خير ورائد إصلاح وإنما هى كذلك ولغيره ؛ غير أن القرآن — كما حدثناك — يتخذها دائما بجانب العقل منفذ هداية وأداة إصلاح وكان مسلك القرآن جديرا بالتأسى والاتباع .

ولكن الناس تعاموا عن ذلك فجعلوها وسيلة غوايه وأداة لهو وسخروها فى متابعة الهوى ومسايرة اللذات، وظنوها مروحة ينعشون بها ميولهم ويداعبون نفوسهم ويتناجون بها مع شياطينهم فى كل ما يقبح ويجرح وكل ما يضر ويفسد، حتى كأن هذه وظيفتها وكأن ليس لها فى باب الإحسان أثر ولا فى مجال البر شأن ولا سبب .

لذلك أبان القرآن عن خطرها فى الجانب السلبى وعن سوء اتجاهها إذا لم يؤزرها عقل ولم يتعهدها ضمير وحينئذ يكون المرء سائبة يهيم بين ضلالات وموبقات .

ويكون أمره فرطا بين غوايات تطيب له اليوم، ومرارات تنتظره فى الغد الطويل .

وشأن الجماعات فى هذا الصدد كشأن الفرد، فإذا كانت العاطفة الجماعية غير مؤزرة بالتوجيه والأشراف الرشيد أو غير مستضيئة بهدى الدين، فكذلك تكون الجماعة سائبة وأمرها فرطا .

وانظر إلى القرآن إذ يأمرنا بالقسط ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط — العدل — شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ففى هذا تنبيه إلى أن عاطفة القرابة قد تحرف بنا عن العدل تعصبا من الإنسان لنفسه، أو تحيزا لوالديه وأقربائه : إذ تكون العاطفة مأخوذة بالعصبية غير ناظرة إلى التحرى، فيميل الميزان ويضطرب العدل بين الناس .

وكذلك يقول القرآن : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

يعنى لا يكن بغضكم لقوم حاملا لكم على الجور بهم وعدم العدل معهم .

اعدلوا : فالعدل هو التقوى التى أمر بها الإسلام أو هو قريب إلى التقوى الكاملة التى تليق بالمسلم الكامل حتى لو كان العدل مع غير مسلم .

مكتبتنا العربية

وهذا مما يشعرنا بوضوح أن للعاطفة منزلات، وأنها بحاجة إلى التحرى والتريث فيما يتصل بالناس، كما أنها كذلك فيما يخص الإنسان.

وعلى الجملة فالعاطفة ذات شأن فى نظر الإسلام وفى تربيته لأبنائه جماعة وأفرادا .

وفى توجيه النظام العام إلى نواحى الخير والإصلاح وقد حفلت آيات الله ببيان شأنها إيجابا وسلبا ودينا ودنيا .

والحياة الإسلامية فى تاريخها الماضى قد تلونت بألوان متباينة من آثار عمل العاطفة فيها و من جراء اهتداء العاطفة بهدى الدين أو عدم اهتدائها .

ولو أن الناس ظلوا ناصحين لأنفسهم وضابطين لعواطفهم بما أوحى إليهم القرآن لظلوا خير أمة أخرجت للناس . ولكن . . . ٤

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المرأة المسلمة تتكلم

من العجيب أن الطلاق الذى تطالب درية شفيق بتحريمه فى الشرق ، يطالب أهل الفكر فى أوربا ـ بل حتى فى أمريكا ـ بالسماح به . ولقد كتب الفيلسوف الارلندى برنارد شو يقول : « ستأخذ أوربا ـ إن عاجلا أو آجلا ـ بنظرية الإسلام فى تعدد الزوجات ، لما تسببه الحروب الفظيعة من استهلاك فى الرجال .

وحينما سئلت حرم الدكتور مشرفة عن رأيها فى مسألة تعدد الزوجات قالت : إن تعدد الزوجات أفضل عندى من أن يتخذ الرجل خليلة له . والداء الدفين ومشكلة الساعة هما فى اضراب الشباب عن الزواج ، وأى بيت ليس فيه فتيات سيطول انتظارهن بسبب استهتارهن واختلاطهن بشكل يندى له الجبين خجلا يخفى عليهن الطيش جنايته الكبرى .

(عن جريدة الجمهورية) زينب محمد أحمد حسين

مكتبتنا العربية

السنة

من أدب النبوة

قبس من الأدب الأسمى ـ مكان عداس من الصحابة ـ صاحب الحوت عليه السلام ـ خطر الجدال فى الأنبياء ـ مجادلة فى العصر النبوى ـ سد الذرائع إلى الفتنة ـ عتاب الله لأنبيائه ـ أولى الناس بالنبيين خاتمهم .

* * *

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما ينبغى لعبد أن يقول : إنى خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه .

رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب .

رواه البخارى

* * *

عرضنا فى الجزء الماضى لرحلة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما لقى فيها من فنون الإعنات والكيد والأذى ! !

ومن يعرض لهذه الرحلة الأليمة الجاهدة ، فلا بد له من أن يعرض لعداس رضى الله عنه وهو يؤنس رسول الله صلوات الله عليه بعض الإيناس ، ويسرى عنه بعض التسرية ، وإذا ذكر عداسا فلا بد له ـ بحكم تداعى المعانى ـ أن يذكر قصة نبى الله يونس ، وأدب

مكتبتنا العربية

خاتم النبيين معه .. وإنه لقبس من الأدب الإلهى الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه وكمله به فأكمل تهذيبه ، ثم قال له وقوله الحق : « وإنك لعلى خلق عظيم » .

* * *

قلنا فى الحديث الماضى إنه صلى الله عليه وسلم لما اشتد عليه الأذى عمد إلى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، فاستظل بظل شجرة من أشجار عنبه ، وهنالك تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس غلامهما بقطف من عنب .. فلما سمى الله تعالى قبل أن يأكل قال عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أى البلاد أنت يا عداس؟وما دينك ؟ قال : نصرانى من أهل نينوى [١] فقال صلوات الله وسلامه عليه : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى . فأكب عداس على النبى صلى الله عليه وسلم يقبله .

فلما رجع إلى ابنى ربيعة قالا له ويلك يا عداس ! مالك تقبل هذا الرجل ؟ ! قال يا سيدى ما فى الأرض شيء خير من هذا ، لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى ، قالا له : ويحك ياعداس ! لايصرفنك عن دينك ...

لكن الله تعالى قد كتب له السعادة ، فجعله من المؤمنين السابقين والصحابة الأولين رضوان الله عليهم جميعا .

* * *

تلك قصة عداس مع النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما قصة يونس عليه السلام مع قومه فقد جاءت فى سورة (الأنبياء . والصافات . ونون) . وقد روى الثقات فى تفسيرها أنه لما دعا قومه إلى الله تعالى أبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ، ظانا أن الله لن يضيق عليه فى بطن الحوت ، أو أنه تعالى لن يقدر عليه ما قدر ، والغيب لايعلمه نبى مرسل ولاملك مقرب

---

(١) بأرض الموصل شمالى العراق . قال ابن الأنبارى : سميت بذلك لأنها وصلت بين الفرات ودجلة .

مكتبتنا العربية

وكان قد أوعد قومه بالعذاب بعد ثلاث ؛ فلما تحققوا ذلك منه وهم يعلمون أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، ثم تضرعوا إلى الله تعالى وجأروا إليه ! ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فكشف الله عنهم العذاب ومتعهم الى أن فارقوا الدنيا راضين مرضيين .

وأما يونس عليه السلام فأنه ذهب بعد أن غاضب قومه فركب مع قوم فى سفينة فلجت بهم وخافوا الغرق ، فاقترعوا مرارا على من يلقونه من بينهم يتخففون منه . فلم تقع القرعة إلا عليه ! فتجرد عليه السلام من ثيابه وألقى نفسه فى البحر ! فالتقمه حوت عظيم أوحى الله إليه ألا تأكل له لحما ، ولا تهشم له عظما ، فأنه ليس لك رزقا ، وإنما بطنك له سجن . فمكث فى بطنه ما شاء الله أن يمكث ثم أوحى الله إليه أن يلقيه بالعراء وهو سقيم « فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون [١] » ...

وقد عاتبه الله تعالى على تعجله ونهى خاتم أنبيائه ألا يتعجل كما تعجل صاحب الحوت ، فيستحق اللوم الذى أصابه ...

* * *

وليس يعنينا من قصة صاحب الحوت عليه السلام أن نستوفيها فى هذا المقام ، وإنما يعنينا منها ذانكم الأمران : العتاب والنهى ؛ فأنهما مثار الحديث .

لقد أخبرنا الله تعالى أنه فضل بعض النبيين على بعض ورفع بعضهم درجات ، وأخبرنا خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنه سيد ولد آدم ولا فخر ، وأن الله أعطاه ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله ، وأن الله اصطفاه على العالمين وأبقى رسالته إلى يوم الدين .

حدثنا بهذا كله تحدثا بنعمة ربه عليه ؛ لكنه صلوات الله وسلامه عليه خاف علينا أن نفخر بهذه الفضائل ونباهى بها حتى نتخذها سبيلا الى المفاضلة بين إخوانه المرسلين والمجادلة فيهم . وليس بعد المفاضلة والمجادلة الا الإهانة والتنقيص ، وهنالك الطامة والخسران المبين !!.

* * *

من أجل مخافته تلك ـ وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ـ نهانا أن نشتغل بهذا التفضيل

(١) اعتمدنا فيما سقناه من هذه القصة على تفسير الحافظ المؤرخ الإمام ابن كثير .

مكتبتنا العربية

أو نجادل فيه جدالا يفضى بنا الى الانتقاص من مقام الرسالة أو الحط من قدر النبوة فسد بذلك منفذا من منافذ الشيطان إلى فتنة داهمة وشر مستطير !

ولقد وقع شيء من هذا الجدال فى العصر النبوى ، ولولا حكمة النبوة لكان الأمر خطيرا جد خطير ! .

عرض يهودى سلعة له فأعطى بها ثمنا كرهه فقال : لا أبيعها به والذى اصطفى موسى عليه السلام على البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال له : تقول هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ؟ ! فشكا اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا القاسم إن لى ذمة وعهدا . . . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب فى وجهه ثم قال : لا تفضلوا بين أنبياء الله . ثم أثنى على كليم الله بما هو أهله ، بعد أن نهاهم عن التفضيل بين أنبياء الله تعالى سدا لذرائع الفتنة وحرصا على مقامهم الكريم أن يمس .

* * *

ويشتد النهى وتعظم المخافة ، وتنتفخ منافذ الشيطان إلى الفتنة ، إذا اعتمد الجدال فى التفضيل على الأمرين السابقين آنفا فى شأن يونس عليه السلام : عتاب الله له ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله ؛ ومن أجل هذا خصه النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر من بين سائر الأنبياء ، ونسب من يفضل أخاه عليه إلى الكذب والافتراء ؛ لأنه راع حول الحمى ، ومن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

* * *

والنبى صلى الله عليه وسلم يقرر بهذا النهى قاعدة من قواعد الشرع ، وركنا من أركان الدين الحنيف ، وهى قاعدة سد الذرائع المفضية إلى محرم ، وإن لم تكن هى فى ذاتها محرمة ، إذ أن تفضيل بعض الأنبياء على بعض من الأمور الجائزة فى نفسها : بل من الأمور الواجب اعتقادها موافقة للكتاب السنة ، ولكنها تمنع حينما تجر إلى الفتنة والحمية . وإذا كان سد الذرائع فى الفروع واجبا حقا فأنه فى الأصول أخلق وفى مقام النبوة أوجب وأحق [١] .

* * *

(١) لهذا الحديث صلة وثيقة بتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على المسرح . . وقد نشرت فيه إدارة التفتيش بالأزهر مقالا ضافيا فى جزء رجب من العام الماضى .

مكتبتنا العربية

الجريمة... والحدث

كثر فى هذه الأيام الكلام عن الأحداث بمناسبة قانون حمايتهم بحرمانهم من دخول السينما والمسرح وأماكن اللهو العامة. ولذا وجدت أن واجبا يدعونى أن أدلى بدلوى فى هذا الموضوع الخطير . . .

لأن الإهمال فى تقويم الحدث ، والتغاضى عن انحرافه اليسير فى صغره ، قد يؤدى فى الغد القريب الى مشاكل لا يمكن معالجتها عند ما يشتد عوده وتقوى سواعده وتألف روحه الجريمة ! ولذا أصبح هذا الموضوع من أمهات الموضوعات التى تهتم بها حكومات العالم أجمع ، لأن المجرم الصغير ما هو إلا النبت الأول للمجرم الكبير .

والأسباب التى تؤدى الى إجرام الحدث كثيرة يخطئها الحصر ، ولكن يمكننا أن أن نرجعها الى أسباب عامة ، وأسباب خاصة . من الأولى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به ، و بالرغم من أن الشخص المجرم ينطوى على نفسية نبتت فيها بذور الشر فهو ليس شخصا عاديا . إلا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أنها لا تنشئ فى نفسه حب الإجرام الا أنها تقويه فقط .

وهو صلى الله عليه وسلم يبين فى هذا التعليم النبوى الكريم أن معاتبة الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم لا تغض من أقدارهم ، ولا تنقص من رتبتهم ، وإنما يؤاخذهم الله بها ، لأنها خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامهم ، ورفيع مكانهم ؛ وإن لم يؤاخذ بها من سواهم من الذين أنعم الله عليهم ؛ وربما كان موضع العتب عليهم محمدة لغيرهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

* * *

أما بعد : فإن الأدب مع أنبياء الله ورسله ، هو من صميم الأدب مع الله عز وجل ، الذى اصطفاهم لتبليغ رسالته ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بأذنه ، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وقد علمنا وسدد ، وبلغنا وأشهد ، فأدّ بنا اللهم بأدبه ، واجزه عنا خير ما تجزى نبيا عن أمته ؛

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

الجريمة... والحدث

كثر فى هذه الأيام الكلام عن الأحداث بمناسبة قانون حمايتهم بحرمانهم من دخول السينما والمسرح وأماكن اللهو العامة. ولذا وجدت أن واجبا يدعونى أن أدلى بدلوى فى هذا الموضوع الخطير . . .

لأن الإهمال فى تقويم الحدث ، والتغاضى عن انحرافه اليسير فى صغره ، قد يؤدى فى الغد القريب الى مشاكل لا يمكن معالجتها عند ما يشتد عوده وتقوى سواعده وتألف روحه الجريمة ! ولذا أصبح هذا الموضوع من أمهات الموضوعات التى تهتم بها حكومات العالم أجمع ، لأن المجرم الصغير ما هو إلا النبت الأول للمجرم الكبير .

والأسباب التى تؤدى الى إجرام الحدث كثيرة يخطئها الحصر ، ولكن يمكننا أن أن نرجعها الى أسباب عامة ، وأسباب خاصة . من الأولى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التى تحيط به ، و بالرغم من أن الشخص المجرم ينطوى على نفسية نبتت فيها بذور الشر فهو ليس شخصا عاديا . إلا أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية بالرغم من أنها لا تنشئ فى نفسه حب الإجرام الا أنها تقويه فقط .

وهو صلى الله عليه وسلم يبين فى هذا التعليم النبوى الكريم أن معاتبة الله لأنبيائه على بعض ما يصدر منهم لا تغض من أقدارهم ، ولا تنقص من رتبتهم ، وإنما يؤاخذهم الله بها ، لأنها خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامهم ، ورفيع مكانهم ؛ وإن لم يؤاخذ بها من سواهم من الذين أنعم الله عليهم ؛ وربما كان موضع العتب عليهم محمدة لغيرهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

* * *

أما بعد : فإن الأدب مع أنبياء الله ورسله ، هو من صميم الأدب مع الله عز وجل ، الذى اصطفاهم لتبليغ رسالته ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بأذنه ، وأولى الناس بهم والتعريف بحقوقهم هو خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم . وقد علمنا وسدد ، وبلغنا وأشهد ، فأدّ بنا اللهم بأدبه ، واجزه عنا خير ما تجزى نبيا عن أمته ؛

طه محمد الساكت

مكتبتنا العربية

ومن الأسباب العامة أيضا التى تساعد ـ بل تشجع ـ على إجرام الأحداث (دور السينما) فالمدمن على مشاهدة الأفلام ـ الأجنبية منها أو المحلية ـ يجدها مضيعة للأخلاق ، لأنه يندر أن يخلو فيلم واحد من قبلة ، حتى صار الكثيرون من المراهقين ـ شبانا كانوا أم شابات ـ لا يدخلون السينما الا ليشهدوا هذه القبلات ، حتى اذا ما انتهى الفيلم خرجوا سكارى ، فيحاول الشاب أن يطفىء شيطانه الذى حركته المناظر المتهتكة على أى أنثى تصادفه ، ويكون جزاؤه المحاكمة بتهمة فعل فاضح مع أنثى فى علانية أو غير علانية ! وهذا أخف جرم يرتكب ، وما خفى كان أعظم ! وتحاول الأنثى أن تعيش فى هذا الجو الحالم الذى شاهدته على الستار الفضى ، حتى ولو من باب العلم بالشيء ، وتكون النتيجة الغوص الى قاع الرذيلة .

هذا من جهة الأفلام العاطفية ، أما الأفلام البوليسية فما أكثر ضحاياها ، ولقد ثبت بالإحصاء أن جرائم السرقات التى يرتكبها الأحداث منشأها أنهم شاهدوا على الشاشة شخصا يتسلق المواسير بشجاعة نادرة ، فأرادوا أن يقلدوه ، وفعلا قلدوه ، فكانت النتيجة أن أرسلوا الى إصلاحية الأحداث ، وأصبحوا مجرمين فى نظر القانون وفى نظر المجتمع ، دون ذنب جنوه الا أنهم أرادوا تقليد ماشاهدوه فى السينما ، فحدث ما حدث !

لكل هذه الأسباب مجتمعة نرجو بل نلح على وزارة الشئون الاجتماعية وعلى رأسها اليوم بطل من أبطال تحرير الوادى أن تبادر بتنفيذ هذا القانون الذى يمنع الحدث من دخول السينما ومشاهدة هذه المهازل الى أن تتمكن الدولة من الخطوة الأخرى المباركة وهى أن لا يعرض على الشاشة شئ من هذه السموم التى تفتك بالأمة ، وتحول أبناء المستقبل وبناته الى طريق الإثم والجريمة ، مع تشديد العقاب على كل من يعمل على هدم العفة والفضيلة فى نفوس الشباب من أصحاب دور السينما .

محمد عطيه راغب

المحامى

مكتبتنا العربية

الزمان يمضى

« إن الأمة اليوم فى دور تكوين جديد، وإن الفرصة سانحة الآن لنشاط دعاة الإسلام وإعدادهم للمساهمة فى هذا التكوين ، وأنا أنتهز دائما كل فرصة لأسأل أهل الغيرة على الإسلام : هل سنبقى واقفين وقفة المتفرج أمام استدارة الزمان ، وانقيادالجماهير لدعوة الباطل والإثم ، حتى يفلت الزمام من يد الإسلام ، فيستسلم أهله ويبأسوا ؟ » .

عن مجلة الأزهر الغراء . . بقلم رئيس التحرير . .

* * *

عام مضى فى سلام ... وأشرق اليوم ... عام
وسار فى موكب الليـ ... ـل ، والزمان الأنام
وفاض فى معبد الدهـ ... ـر ، والحياة ... الجام
والمسلمون حيارى ... والكائنات ظلام
فالأرض حولى خراب ... تعوى بها ... الآكام
فأين فيها ، وفى الشر ... ق والربوع السلام ؟
يطوف فى لا بتيها ... وفى البطاح الحمام
وينعق البوم فيها ... وترقص . . الأوهام

* * *

يمضى الزمان ، ونمضى ... وتنطوى الأعوام
عام يشيع ... عاما ... والمسلمون . . نيام !!
والأرض تندب فيها ... وفى الدجى الآجام

* * *

شاب الزمان وضلت ... فى سيرها . . الأيام
وطال فى غفلة الليـ ... ـل ، والفتاوى الكلام !!
ومال فى الأرض صرح ... وعطلت . . أحكام !!
لا يرفع الله شعبا ... يسود فيه اللئام . .

مكتبتنا العربية

ذوت غصون ، وماتت ... فى مهـدها الأفهـام
وفرق الخلف فى الشر ... ق بيننـا . . والخصام ! !
وشيبتنـا . . سنون ... وحطمتنـا . . كلام . . !

* * *

مضى الزمان ، وماتت ... فى ليله . . . الأنغـام
وصاح فى الأرض جبـا ... رها . . فأين المقـام ؟
وغاب عن منبـع الو ... حى والهـدى الإلهـام !
وضاع فى مهمـه العمـ ... ر ، والفتاوى العـام !
وزل فى النـاس شيخ ... فزلت . . الأقـدام !
وثار فى فـزع الدهـ ... ر ، والعقول « الصيام »
وقام يدعو إلى (الد ... ين) فى الورى الأقزام !
فضل فى الأرض قوم ... وآمنت . . أقـوام !

* * *

غابت كعاب المعـانى ... وكسرت . . أقلام !
واندك فى الدهر صرح ... وولول (الإسـلام)
فأين فى الشرق « سـادا ... تيه » ؟ وأين الوئام . . ؟
وأين فى مصر « أشيا ... خنا » الهداة العظـام ؟

* * *

رف الزمان ، وثارت ... شيوخه . . الأعلام .
تلك الشعوب تداعت ... و « القبائتـان » ضرام !
ومات فى الأرض شعب ... وقطعت . . أرحام . .
وللشعـوب . . إذا ما ... تت . . رجعة ، وقيـام

* * *

صحا الزمان ، وثارت ... فى كهفه . . النوام
فأن صحونا . . نجونا ... وصحت . . الأحـلام

صابر على رمضان

« الجوشنى »

مكتبتنا العربية

من مآثر الأنصار

الأنصار هم قبيلتا الأوس والخزرج الذين سارعوا إلى الدخول فى الإسلام لما عرضه عليهم نبى الله صلوات الله وسلامه عليه . وكانوا ردء الإسلام وحصنه آووه فى غربته ونصروه على أعدائه ؛ وضحوا فى سبيله بالنفس والمال وواسوا إخوانهم المهاجرين خير المواساة ؛ وآثروهم على أنفسهم حتى غدا إيثارهم مثلا باقيا فى الآخرين .

وما أن أذن رسول الله لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة حتى تتابع المسلمون إليها زرافات ووحدانا ؛ فوجدوا من كرم الوفادة وحسن الصحبة ما أنساهم ألم الغربة ومرارة فراق الأهل والمال والوطن . وما أن بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا حتى كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة متلهفين إلى لقاء الحبيب الموافى ومتشوقين إلى رؤيته فما يردهم إلا حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فأشرف يهودى على أطم من آطام المدينة لبعض حاجته فأبصر برسول الله ورفقته يزول بهم السراب ؛ فصاح بأعلى صوته : يا بنى قيلة ؛ هذا صاحبكم الذى تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح وطاروا شوقا للقاء المهاجر الكريم وصاحبه . ولا تسل عما تجلى فى هذا المشهد الكريم وفى هذا اليوم المشهود من إظهار المحبة والولاء والتضحية والفداء . فمال بهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى بنى عمرو بن عوف فأقام فيهم مدة من الزمن وفيها بنى المسجد الذى أسس على التقوى وهو مسجد قباء .

ثم قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى موكب من مواكب الإيمان والحب السامى يحف به سادة الأنصار ولا سيما بنو النجار أخوال جده عبد المطلب وكانت دور الأنصار متناثرة ما بين قباء والمدينة فكان رسول الله كلما مر بدار من دورهم أمسكوا بزمام ناقته متوسلين اليه أن ينزل فيهم فى العدد والعدة والمنعة . فيقول لهم : « دعوها فأنها مأمورة » وما زالت الناقة تسير يحدوها جبريل الأمين حتى بركت فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى فيما بعد . فقال النبى صلوات الله وسلامه عليه : «هنا المنزل ان شاء الله» ثم قال : أى دور أهلنا أقرب ؟ يريد أخوال جده عبد المطلب وهم بنو النجار . فقال

مكتبتنا العربية

السيد الجليل أبو أيوب الأنصارى : أنا يا رسول الله ؛ فاحتمل رحـل رسول الله وهو قرير العين بهذا الشرف الرفيع وأراد أناس من سادة الأنصار أن ينزل عندهم رسول الله ولـكنه اعتذر اليهم اعتذارا كريمـا قائلا « المرء مع رحله » وبهذا التصرف المحمود كرم رسول الله بنى النجار فى شخص السيد أبى أيوب . وجاء أسعد بن زرارة وقـد فاته شرف نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فأمسك بزمام الناقة وأبى الا أن تـكون عنده . ومكث رسول الله بمنزل أبى أيوب سبعة أشهر حتى بنى المسجد النبوى وبنيت حجرات نسائه فانتقل اليها وكانت دار أبى أيوب رضى الله عنه فى هذه المدة منتدى يجتمع فيها رسول الله وصحابته على الرحب والسعة . وقد آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل بسفل دار أبى أيوب لأن ذلك أرفق وأيسر للزائرين . ولـكن أبا أيوب لم يطب نفسا بذلك وعز عليه أن ينزل رسول الله بالسفل وهو وأهله بالعلو ولم يزل برسول الله يرجوه ويلح عليه فى الرجاء حتى قبل أن ينزل فى علو البيت . وأظهر أبو أيوب والأنصار من كرم الوفادة لرسول الله وصحابته ما هم أحق به وأهـــل له . فأبو أيوب رضى الله عنه لا يهنأ له أكل ولا يرتاح له ضمير حتى يقدم الطعام الى رسول الله فيأكل منه ثم يأكل من موضع أصابعه . وسادة الأنصار يبعثون بالجفان كل ليـلة الى بيت أبى أيوب لمن يشاء أن يأكل من المهاجرين .

ولم يكن حظ بقية المهاجرين من الإكرام وسمو المعاملة بأقل من حظ رسـول الله فقد فتح الأنصار رضوان الله عليهم بيوتهم – كما فتحوا قلوبهم – لإخوانهم المهاجرين وتسابقوا فى اكرامهم وايوائهم وتنافسوا فى هذا حتى لم يجدوا بدا فى بعض الأحيان من الاقتراع ترضية للنفوس وتطييبا للقلوب . وضربوا فى باب الإيثار وسخاء النفس وكرم الطبع مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الأجيال المتعاقبة بالإعظام والإكبـار .

فهذا هو سعد بن الربيع الأنصارى يأتى الى أخيه المهاجرى عبد الرحمن بن عوف فيعرض عليه أن يتنازل له عن احدى زوجتيه ليتزوجها وأن يتنازل له عن شطر ماله ان أراد . ولـكن ابن عوف أبى وشكر له صنيعه وقال له : دلنى على السوق فدله عليه وما زال يتاجر فى الأقط والسمن حتى ناله شئ من اليسار وتزوج امرأة من الأنصار وقد فتحت عليه الدنيا بعد فمـا توقى الا وهو من أثرى الأثرياء . وهكذا يتجلى السخاء وغاية الإيثار من سعد رضى الله عنه ويتجلى الأباء وعفة النفس من ابن عوف وهكذا ينبغى أن يكون المسلم .

مكتبتنا العربية

وهؤلاء هم الأنصار يأتون إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه فيقولون له : اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخيل . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لا . فقالوا لإخوانهم المهاجرين ـ وقد أبوا النحلة ـ تكفونا المؤونة (أى السقى والعمل) ونشركم فى الثمرة فرضى المهاجرون وقالوا : سمعنا وأطعنا .

وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين ، فقالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها .

ولما أفاء الله سبحانه على المسلمين من أموال بنى النضير قال للأنصار : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة . فقال الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فأنزل الله فيهم « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ومن المثل العالية التى فيها شئ من الطرافة والحيلة البارعة فى سبيل القيام بحق الضعيف ومواساة المحتاج ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابنى الجهد . فبعث إلى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق إلى امرأته فقال : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : ما عندنا إلا قوت صبيانى . فقال : هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء . فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته . فجعلا أى الأنصارى وزوجته يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « عجب الله من فعالكما » فأنزل الله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

هذا قليل من كثير مما واسى به الأنصار إخوانهم المهاجرين ، فلا عجب أن أثنى الله سبحانه عليهم الثناء المستطاب ، وأنزل فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين ، وصدق الحق تبارك وتعالى « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الآية .

مكتبتنا العربية

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » .

ولا عجب أن يشيد الرسول الكريم بفضلهم ومآثرهم ، فيقول فيما رواه البخارى : « لولا الهجرة لكنت من الأنصار » وأن أوصى المسلمين من بعده بهم خيرا . روى البخارى فى صحيحه قال : مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون [١] فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد . قال فصعد المنبر — ولم يصعده بعد ذلك اليوم — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فأنهم كرشى وعيبتى [٢] ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم . فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . وهذا فى غير حد أو حق من حقوق الناس » وبحسبهم أن رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كفاء ما قدموا للاسلام من مؤازرة ومناصرة ؛ وللدنيا من حق وخير ومثل عليا فاضلة صاروا بها أهلا للقدوة والائتساء .

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

---

(١) المجلة : وكان ذلك فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه .

(٢) كرشى : يعنى جماعتى وموضع قوتى . وعيبتى : أى موضع سرى ودخيلة نفسى . وأنه لمن الكلام الموجز البكر الذى لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم .

مكتبتنا العربية

حديث الفتوة فى القرآن

« الفتوة » كلمة يختلف معناها باختلاف المستعملين لها ، فهى عند أصحاب التربية البدنية والرياضة الجسمية صلابة أعضاء وقوة أطراف ؛ وهى عند رجال «الكشافة» مروءة وإيثار ومعاونة للغير وخدمة للمجموع ؛ وهى عند أهل « الفروسية » طائفة من خصال البطولة والسماحة والرقة فى المعاملة ؛ وهى عند «الصوفية» مجموعة من خلال البر والخير مثل إسقاط الجاه والزهد والرضا ومحاربة النفس والعفو عن زلات الناس ... الخ وقد تحدث الأستاذ عمر الدسوقى فى كتابه «الفتوة عند العرب» حديثا مبسوطا فى الموضوع مما جعله مرجعا هاما فى هذا المجال .

ومن الخير ـ قبل التعرض لحديث الفتوة فى القرآن الكريم ـ أن نتعرف إلى المعنى اللغوى لكلمة الفتوة عن طريق المعاجم ، فنجد القاموس المحيط يقول : « الفتاء كسماء الشباب ، والفتى الشاب والسخى الكريم .. والفتوة الكرم »[١] . وفى مفردات القرآن للأصفهانى : «الفتى الطرى من الشباب ، والأنثى فتاة ، والمصدر فتاء »[٢] . وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « هذا فتى بين الفتوة ، وهى الحرية والكرم . قال عبد الرحمن ابن حسان :

إن الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بمغملج الفتيان [٣]

وقال آخر :

يا عز هل لك فى شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتيان

وتقول العرب فتى من صفته كيت وكيت ، من غير تمييز بين الشيخ والشاب » [٤] .

---

(١) القاموس ، ج ٤ ص ٣٧٣ .
(٢) مفردات الراغب ، ص ٣٧٩ .
(٣) المغملج : الذى لا يثبت على حالة .
(٤) الأساس ج ٢ ص ١٨٥ .

مكتبتنا العربية

ولدلالة مادة (الفتوة) على معنى القوة والثقة والمضاء اشتق العرب منها كلمة (الفتوى) ومن هنا جاءت هذه العبارة فى تفسير المنار : « والاستفتاء فى اللغة السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكما . وقد غلب فى الاستعمال الشرعى فى السؤال عن الأحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومه (أفتونى فى رؤياى) وهى مشتقة من الفتوة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة » [١] .

ومن النصوص اللغوية السابقة وأمثالها ندرك أن الفتوة توحى بالقوة ، لأن الفتوة هى الشباب ، والشباب عنوان النشاط والاشتداد ، كما ندرك أن الفتوة فى أصلها تعنى قوة الجسم والبدن ، ثم انتقل معناها إلى بعض الصفات المعنوية كحب الخير والأريحية والسخاء ثم انتقل معناها عند أهل التصوف إلى حالة نفسية فيها مزاج من صفات سلبية وصفات إيجابية ، ولعل الصوفية هم أكثر الناس حديثا عن « الفتوة » وعناية بأمرها ، ما بين مقتصد منهم ومسرف ؛ وقد يكون من الاستئناس بجو البحث أن نعرف جانبا من آرائهم فى « الفتوة » وتصويرهم لها ، فابن عربى يحدد عمر «الفتى» ويصف أخلاقه فيقول : « الفتى ما بين الثامنة عشرة والأربعين من العمر ؛ ويتصف بالقوة والأخلاق الحميدة . ويستخدم قوته فى خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ولكن له حساد ومنافسون » [٢] . ويتوسع فى تصويره شعرا فيقول من أبيات له :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها ... مقدما عند رب الناس والناس
إن الفتى له الإيثار تحلية ... فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهوا بقوتها ... لكونه ثابتا كالراسخ الراسى
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله ... عن المكارم حال الحرب والباس

ويقول القشيرى : « أصل الفتوة أن يكون العبد ساعيا أبدا فى أمر غيره » . ويقول الكرخى : « للفتيان علامات ثلاث : وفاء بلا خلف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال » . ويقول الوراق : « أصل الفتوة خمس خصال : أولها الحفاظ ، والثانى الوفاء

---

(١) تفسير المنار ؛ ج ١٢ ص ٣١٢ .

(٢) قطفنا هذه التعاريف من مواطن مختلفة من كتابى « طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن السلمى ؛ بتحقيق الأستاذ نور الدين شريبة ؛ و «الفتوة عند العرب» .

مكتبتنا العربية

والثالث الشكر ، والرابع الصبر ، والخامس الرضا » . وسئل أبو حفص النيسابورى : هل للفتى علامات ؟ فقال : نعم ، من يرى الفتيان ولايستحى منهم فى شمائله وأفعاله فهو فتى . وسئل البلخى : ما الفتوة ؟ فأجاب : حفظ السر مع الله على الموافقة ، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة ، واستعمال الخلق . ويقول الشبهى : الفتوة حسن الخلق وبذل المعروف . وسئل البوشنجى عن الفتوه فقال : حسن المراعاة ودوام المراقبة ، وأن لاترى من نفسك ظاهرا يخالفه باطنك . وقال البيرونى : « حدّت الفتوة بأنها بشر مقبول ، ونائل مبذول ، وعفاف معروف ، وأذى مكفوف » . وقال المحاسبي : الفتوة أن تنصف ولا تنتصف !! .

وسأل مشايخ بغداد أبا حفص النيسابورى عن الفتوة ، فقال : تكلموا أنتم فلكم العبارة واللسان . فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة . فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندى أداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف فقال الجنيد : قوموا يا أصحابنا ، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته ! ! ... وبين أيدينا من أمثال هذه التعريفات عشرات وعشرات جمعناها من هنا ومن هناك ، وهى مما يضيق به النطاق ...

والإسلام يحب الفتوة بمختلف معانيها المعقولة المقبولة ، فهو يحب الفتوة فى البدن ، لأنه دين القوة حسا ومعنى ، ويحبها فى الخلق ، لأنه دين مكارم الأخلاق . ويحبها فى معاونة الناس لأن خير الناس عنده أنفعهم للناس بل يحب أن تكون المعونة من ذى الفتوة معونة قوية موصلة . ومن هنا جاء الحديث فى الأضحية يقول : « جذعة أحب إلى الله من هرمة ، والله أحق بالفتاء والكرم » . والجذعة : الفتية . والهرمة : العجوز . والفتاء : الشباب ، والكرم : الحسن [١] .

وقد تتبعت المواطن التى وردت فيها مادة « الفتوة » فى القرآن الكريم . فوجدتها عشرة مواطن ولاحظت أن هذه المادة تذكر فى القرآن المجيد بالخير وفى مواضع الخير . وكأن القرآن يرمز بهذا إلى أن شأن الفتيان أن يكونوا دائما فى مواطن الحمد وأماكن الثناء وفى ذلك ما فيه من توجيه أو إيحاء .

يقول القرآن الكريم على لسان قوم إبراهيم عليه السلام : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم

(١) انظر النهاية لابن الأثير ، ج ٣ ص ١٨٣

مكتبتنا العربية

يقال له إبراهيم [١] » والفتى المراد هنا كما هو واضح هو خليل الرحمن وأبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد عقد صاحب « الفتوة عند العرب » فصلا بعنوان « سيد الفتيان » ثم قال معلقا على ذلك العنوان : « هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وليس فى وصفنا له عليه السلام بسيد الفتيان تطاول على مقام النبوة الكريم . فقد قال تعالى فى سيدنا إبراهيم : قالوا سمعنا [٢] فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) » .

ويقول التنزيل المجيد عن أهل الكهف : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا [٣] » . وأنت ترى أن الفتية هنا مؤمنون قد اعتزوا بربهم واتجهوا إليه واعتمدوا عليه . يقول عنهم القرطبي : « وكان بها - أى مدينة أفسوس - سبعة أحداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم إلى الملك وخافوه فهربوا ليلا » ويقول أيضا : « فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فأخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله [٤] » . ويوالى القرآن الحكيم قص أمرهم بما يزيده علوا وتكريما فيقول :

«نحن نقص عليك نبأهم بالحق . إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا [٥] » .

وحينما تعرض القرطبي لتفسير قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم ... » قال : « أى شباب أحداث حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة كذلك قال أهل اللسان : رأس الفتوة الإيمان . وقال الجنيد : الفتوة بذل الندى . وكف الأذى . وترك الشكوى . وقيل : الفتوة اجتناب المحارم واستعجال المكارم . وقيل غير هذا . وهذا القول حسن جدا لأنه يعم بالمعنى جميع ما قيل فى الفتوة » .

---

(١) سورة الأنبياء ؛ آية ٦٠

(٢) فى الكتاب (إنا) بدل (قالوا) وهو سهو أو خطأ مطبعى ؛ انظر ص ١٤٣

(٣) سورة الكهف آية ١٠ (٤) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٥٩

(٥) سورة الكهف آية ١٣ - ١٦

مكتبتنا العربية

ولما بلغ قوله تعالى : « وزدناهم هدى » قال : (أى يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع إلى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد فى الدنيا وهذه زيادة على الإيمان) ولما بلغ قوله : « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض » قال : (هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكرا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء ... [١]) وهذه عبارات ناطقة بفضل الفتوة ومجد الفتيان وشاهدة بتعطير ذكرهم فى خير البيان وهو القرآن .

و يقول الله تبارك وتعالى فى التنزيل الحميد : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات [٢] » . وفى هذه الآيات تكريم لهؤلاء الفتيات المؤمنات وترغيب فيهن وقد أشار إلى ذلك السيد رشيد رضا ـ عليه الرحمة والرضوان ـ حين تحدث عن وصف الإماء هنا بالفتيات فقال : « وفى التعبير عنهن بهذا اللقب إرشاد الى تكريمهن ؛ فأن الفتاة تطلق على الشابة وعلى الكريمة السخية كأنه يقول : لا تعبروا عن عبيدكم و إمائكم بالألفاظ الدالة على الملك بل بلفظ الفتى والفتاة المشعر بالتكريم ؛ ومن هنا أخذ مبلغ القرآن ومبينه صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ؛ ولا يقل المملوك : ربى . ليقل المالك فتاى وفتاتى ؛ وليقل المملوك سيدى وسيدتى ؛ فأنكم المملوكون ؛ والرب هو الله عز وجل) رواه الشيخان » [٣] .

و يقول القرآن : « و إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » [٤] . وقد قيل إن الفتى هو يوشع بن نون . وإنما قيل له فتى لأنه كان يخدمه و يتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم [٥] وهما أمران يشرفان لأن خدمة النبى عمل كريم ولأن طلب العلم مقصد عظيم وقيل إن الفتى هو يوشع بن نون بن إفرائيم

---

(١) تفسير القرطبى . ج ١٠ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦

(٢) سورة النساء . آية ٢٥

(٣) تفسير المنار . ج ٥ ص ١٨

(٤) سورة الكهف . آية ٦٠

(٥) تفسير الكشاف . ج ٢ ص ٣٩٥

مكتبتنا العربية

ابن يوسف عليهم الصلاة والسلام [١] فهو إذن من سلسلة النبوة وأكرم بالفتوة إذا تحدرت من هذا النبع الطهور ...

وإذا كان فتى موسى قد نسى الحوت وقال عن نفسه : « وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره » فإن البيضاوى يعلل هذا النسيان تعليلا مشرفا فيقول : « ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره [٢] الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أو لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها » .

ومع هذا أدى نسيان يوشع الى خير مطلوب . ألم يقل القرآن عن موسى عليه السلام « قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا » [٣] ؟! .

ويقول القرآن : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم » [٤] . وقد نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى رأس النفاق لأنه أكره جواري له على البغاء وضرب عليهن ضرائب فذهبت ثنتان منهن وشكتا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] ولا شك أن هذا التحصن وتلك الشكوى مما يحمد عليه أهلوه ! ! .

يافتية الإسلام هكذا كان حديث الفتية فى القرآن لا يرد الا فى مجال محمود فأين أنتم من مواطن الحمد والثناء ؟ ! ؟

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

---

(١) تفسير البيضاوى . ص ٣٩٦

(٢) الشراشر : جمع شرشرة ؛ والشراشر الأثقال والنفس وجميع الجسد والمحبة (عن القاموس) .

(٣) سورة الكهف . آية ٦٤

(٤) سورة النور . آية ٣٣

(٥) انظر تفسير الكشاف . ج ٣ ص ٧٦ ؛ وتفسير البيضاوى ص ٤٦٨

مكتبتنا العربية

الألغـــــــاز

والآداب العربية والعامية المعاصرة

— ١ —

« الألغاز » ضرب من ضروب الأدب ولون من ألوانه ، يمتاز عن سائر الضروب والألوان بأنه يتخذ الحيلة أساسا له والمعرفة والثقافة سندا ، والامتحان والاختبار أسلوبا ، وبأن منحاه التركيز والغموض ، وصفته الإيجاز والإعجاز .

أما ان أساسه الحيلة ، فذلك لأنه فن من فنون التسلية يحتاج إلى البراعة فى الوضع ، والعناية فى الإخراج ، واللباقة فى تقديمه إلى الراغبين فى قضاء الوقت ومتعة السهر ، حتى يلاقى لديهم نجاحا ويلقى فى نفوسهم هوى ويجذب منهم الانتباه .

وأما عن المعرفة والثقافة باعتبارهما سندا لهذا اللون من ألوان الأدب ، فالمفهوم أن اللغز إنما يعنى اختبار المراد منه حله وتفسيره . ولن يتيسر هذا الاختبار على نطاق واسع إلا إذا كان الأديب الذى يلغز والشخص الذى يوجه إليه اللغز سواء أكان قارئا أم سامعا كلاهما على قدر من الثقافة والإلمام بالمعرفة يتناسب مع ما يقتضيه اللغز من اتساع فى الأفق وكثرة فى الاطلاع وسرعة فى البديهة ـ ولقد كان من شأن تباين الثقافات وتفاوت المعارف أن تنوعت الألغاز واتخذت قوالب وأشكالا تتناسب مع هذا التباين والتفاوت فى درجة الإلمام والاطلاع وقدر التفكير والتعليم وطبيعة البيئة .

وواضح أن الأسلوب الذى تتبعه الألغاز هو أسلوب الاختبار ، اختبار القدرة على فهم اللغز ، وسمته الغموض والإبهام فى سرعة واختبار المقدرة على حصر شتى المعلومات والملموسات من الأشياء والحقائق ومعرفة أيهما ينطبق عليه نص اللغز وتظهر الفائدة واضحة من اللغز فى هذا الأسلوب ذلك لأن الاختبار يؤدى إلى تشغيل الذهن وتحريك الملكات الفكرية ويعود على السرعة فى الفهم والشوق إلى الإفصاح والتعود على التفكير وتقوية البديهة وحصر المعلومات كما يؤدى إلى التعود على تذوق الأدب اللغزى وسرعة الإحاطة بالاحتمالات العديدة المختلفة لكل نقطة من نقاط الثقافة وكل بند من بنود المعرفة .

مكتبتنا العربية

وليس من شك فى أن المنحى الذى يتخذه الملغزون فى وضع ألغازهم إنما هو التركيز والغموض والسبب فى التركيز هو أن اللغز يقصد فى العادة إلى الاختبار ومن شأن هذا الأخير أن يكون المعنى الدائر حوله النص مركزا بمعنى أن يكون مشتملا على الصفة الكلية التى يتصف بها الشئ الملغز فيه أو الصفة البارزة المميزة له عن سواه من الأشياء والعلة فى الغموض تبدو من تبيان الفرق بين الوصف والإلغاز فعلى الرغم من أن هذا الأخير هو فى حقيقته وصف موجز يصور صفة مميزة لشئ من الأشياء بصورة تمكن بعد تفكير وتمعن إلى استكناه هذا الشئ ومعرفة فحواه ؛ إلا أن الوصف يختلف عن ذلك فى اتسامه بطابع التوسع والتحليل والتنميق وفى اتسامه بالتبسط فى العرض حتى يتذوقه المتذوقون دون نصب ولا إرهاق ويستسيغه المستسيغون دون كد كثير للذهن أو التباس ملحوظ فى القصد والمعنى .

ويتصل بالتركيز أن يكون اللغز موجزا ، والإيجاز صفة يقتضيها المقام فى الألغاز ، وذلك يرجع إلى أن هدفها الامتحان والاختبار ، وهذا فضلا عن أن الإيجاز سبيل إلى الإبداع والإعجاز ، ومن مقتضى هذا الأخير أن يجعل للانتاج طابعا فريدا خاصا فيه الدفع إلى الفحص والاستكناه وفيه الدافع إلى التوصل إلى الحل والتفسير ، أما ما يتعلق بالغموض فليس يخفى أن صفة اللغز وطبيعته المميزة باعتباره انتاجا أدبيا إنما تقوم على أساس التعمية ، والتعمية هى السبيل للاختبار ، والمفهوم أن الغموض يكون فى وصف الشئ الملغز فيه : والمقصود بذلك أن يختار الملغز لهذا الشئ صفة أو طابعا أو وجهة بعيدة تعبر عنه من زاوية خاصة له تحتاج من الموجه إليه اللغز أن يقلب الفكر والذاكرة حتى يصل إلى اقترانها بهذا الشئ ، أما أن يجنح الملغز إلى الإبهام فى اللفظ ، فذلك فى رأينا لا يكون صحيحا إلا إذا كان الإلغاز لفظيا أى قائما على اللفظ كما سيجئ ؛ أما غير ذلك من ضروب الألغاز . فالغموض فى اللفظ فيه عقم واضطراب فى الفن اللغزى وعلى هذا الأساس يحكم على هذا الضرب من الألغاز أو ذاك بالصحة والإعجاز أو بالفشل والهدم .

والمعيار السليم فى الحكم على اللغز يتأتى بمعرفة الشئ الملغز فيه . ثم تطبيق النص اللغزى عليه فاذا وجدنا ــ والوضع هذا ــ أن هذا الشئ قد صار عنوانا سليما لذلك النص كان اللغز سليما وإذا ألفينا أن النص متعذر انطباقه على الشئ الملغز فيه كان اللغز غير سليم ، ويتفرع عن ذلك ملاحظة أن النص قد يحتوى على صفة للشئ يشترك فيها مع بعض آخر من الأشياء ؛ وبالرغم من هذا يكون اللغز صحيحا وسليما وهذا لا يكون إلا إذا

مكتبتنا العربية

كان النص يشمل مجموعة من الصفات والأوصاف يكفى أن يكون واحد منها أساسيا فى الشئ بمعنى عدم اشتراك هذا الأخير فيه مع أشياء أخرى .

والألغاز مادة من مواد التسلية فى مجالس الأدب ومجالس التسلية ، فضلا عن المجالس الشعبية . ويقصد بالمجالس هنا اجتماع فئة من الناس تربطهم صلة الأدب أو الفكر أو صلة الصداقة أو القرابة لقضاء أوقات الفراغ . وأجمل أسلوب فى نظرنا لتسهيل هذه المادة وجعلها شيقة محببة مؤدية للغرض منها وهو التسلية وتشغيل الأذهان واختبار المقدرة وما إلى ذلك هو تحديد الزوايا المعينة أو القوالب الخاصة التى سيدور حولها محور الألغاز . بمعنى اختيار وجهة خاصة كعلم من العلوم مثلا أو فن من الفنون أو طبقة من الناس كطبقة الأدباء والمفكرين أو كطبقة السياسيين والاقتصاديين لتكون كل الألغاز التى تذكر فى المجلس محصورة فى جو يتسنى معه للحاضرين الحل والتفسير فى سرعة ويسر ، وذلك أن من شأن التحديد والحصر عدم تشتيت الذهن واقتصار دورانه وبحثه على دائرة معينة . ويؤدى هذا كما هو ظاهر إلى السرعة فى الوقوف على الحل والنتيجة وتظهر فائدة هذا المنحى فى أنه يساعد على استمرار المجلس والإقبال على مادته وبطء إحساس الحاضرين بالسأم أو الملل الذى يحدثه كد الذهن فى الحل والاختبار .

ولم تقتصر الألغاز على نوع دون آخر من أنواع الأدب . فنحن نجدها طرقت أبواب القصة والنثر الأدبى والأدب الشعبى كما طرقت باب الشعر العربى .

أما من ناحية القصة فليس يخفى أن عنصر التشويق الذى هو أساس الفن القصصى يتطلب وجود لغز فى القصة يسعى القارئ إلى معرفة كنهه والوقوف على ما يفسره بمتابعة فصولها والاهتمام بعرضها . ويتمثل هذا فى وضوح فى نوع القصص المعروف بالقصص البوليسية . فهذا النوع من القصص أساسه اللغز ومحوره الإلغاز ويلاقى رواجا كبيرا لدى القراء بالغرب ولكن رواجه بين قراء العربية يتأتى عن طريق القصص البوليسى المترجم عن الإفرنجية . ولقد كان فى قيام هذا النوع من القصص على اللغز خلق نوع خاص من الأبطال القصصيين مهمتهم فى القصة التوصل إلى حل اللغز وتفسيره وبطولتهم تتأتى عن طريق مقدرتهم على هذا الحل والتفسير ومن أشهر هؤلاء الأبطال البطل المعروف باسم شرلوك هولمز .

ونجد الألغاز منتشرة فى النثر الأدبى . وهنا نلاحظ فرقا بين اللغز والسؤال فلا شك

مكتبتنا العربية

أن السؤال أعم من اللغز فضلا عن أن هذا الأخير يراد منه فى العادة ـ زيادة على الامتحان والاختبار ـ أن يكون مادة للتسلية وتلك صفة تتضح فى اللغز أكثر من وضوحها فى السؤال .

ومن أمثلة الألغاز فى النثر العربى ما نجده فى أقاصيص (ألف ليلة وليلة) إذ وردت بعض الألغاز فى إحداها . منها :

أخبرنى عن قبر مشى بصاحبه ! ـ المقصود حوت يونس حين ابتلعه .

أخبرنى عن شئ يتنفس بلا روح ! ـ المقصود قوله تعالى (والصبح إذا تنفس) .

أخبرنى عن شئ أوله عود وآخره روح ! ـ المقصود عصا موسى حين ألقاها فى الوادى فاذا هى حية تسعى باذن الله .

أخبرنى عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ثم لم تطلع ولن تطلع إلى يوم القيامة ! ـ المقصود بهذه البقعة (البحر الأحمر) حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا . وطلعت عليه الشمس ولم تعد له إلى يوم القيامة .

أخبرنى عن أنثى من ذكر وذكر من أنثى ! ـ المقصود بالأولى حواء من آدم . والمقصود بالثانى عيسى بن مريم .

أخبرنى عن أربع نيران : نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب ! ـ المقصود بالأولى نار جهنم والثانية نار الدنيا والثالثة نار الشمس والرابعة نار القمر .

أخبرنى عن خمسة أشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق ! ـ المقصود بها : الماء والتراب والنور والظلمة والثمار .

أخبرنى عن أشياء خلقها الله تعالى بيد القدرة ! ـ هى : العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن ؛

« له بقية »

أحمد طه السنوسى

مكتبتنا العربية

من تاريخ مصر الحديث

مواقف خالدة لعلماء الازهر

واخشع مليا واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا
شوقى

يدأب كثير من المغرضين على اتهام الأزهر ، واختلاق المثالب الشائنة لرجاله ، وهم اذ يلصقون التهم الآثمة بهم الصاقا يتجافى عن الحق والإنصاف ، انما يهاجمون الإسلام نفسه من وراء ستار ، ليحققوا مآرب خبيثة لا يقدرون على البوح بها علانية ، ولا جرم فقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر .

وأعظم تهمة يمهدون لها العلل والأسباب ، هى دعوى تزلف الأزهريين للرؤساء من ملوك ووزراء ، والسير فى ركاب أولى الأمر مهما اعتسفوا الجادة وتنكبوا السبيل ، والعجيب المدهش حقا أن الذين يلوكون بأقلامهم هذا الهراء فى صحفهم الماجنة هم أنفسهم الذين كانوا يدقون الطبول فى موكب الفساد ، وحين تغيرت الأوضاع بعد الثورة أخذوا يتنصلون من فضائحهم المخزية ويتصيدون الشوائب للبررة الأتقياء ، حتى ليصدق عليهم المثل القائل (رمتنى بدائها وانسلت) !!

ونحن اذا تصفحنا مواقف تاريخنا الحديث نجد لأعلام الأزهر فى الذود عن الحق والوقوف فى وجه الباطل آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر وتؤكد وراثة الأنبياء فى قوم يخشون الله حق خشيته ، ومن المؤسف أن هذه المواقف الخالدة ـ على كثرتها المشرفة ـ لم تجد من أحصاها فى كتاب ، أو دونها فى تاريخ ، اذ أن الرهبة المرعبة من أصحاب النفوذ ، ساعدت على كتمان هذه المجابهات الصريحة ، الا ما تناثر على الأفواه من أحاديث تتخذ الحيطة الكاملة فى ترددها وتداولها بين الناس ، ومع هذا التكتم

الصريح فقد وعت ذاكرة التاريخ مثلا رائعـــة لجماعة مؤمنة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من العلماء الأفذاذ ! !

وها نحن أولاء نسطر فى مقالنا بعض هـذه الروائع الغالية ، ليعلم من لم يكن يعلم أن من علماء الأزهر من حملوا مشعل الحق فى الدعوة الى الله ، فأثبتوا لذوى الإنصاف أن الروح القرآنية التى ألهمت سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعمرو بن عبيد والأوزاعى وابن حنبل والعز بن عبد السلام فى القديم هى نفسها الروح القوية التى سرت فى نفوس علماء الأزهر فواجهوا الباطل بلسان صدق مبين ونحن نسجل بعض هـــذه المفاخر لا لنقول أولئك آبائى بل لنقذف بالحق على الباطل فاذا هو زاهق .

لقد حكم محمد على مصر فى فترة عصيبة من تاريخها القريب فمن الذى أحصى عليه أخطاءه وسجل نقائصه ، حتى تعرض لأقسى ضروب العسف والاضطهاد ؟ ! ! ان العالم الأزهرى عبد الرحمن الجبرتى قد كان أول من سجل على الوالى الغاشم نوائبه وأخذ يتنقل بين المدن والقرى فارا من عذاب أليم يتهدده من أولى الأمر ، وقد تعرضت أسرته للاغتيال والحبس والأهانة ، وظل المؤرخ الكبير يخط للأجيال المقبلة كلمة الحق سافرة حميدة ، دون أن يقعد به تحرش وارهاب . ولو أراد الرفعة والجاه لسار فى موكب النفاق يختلق المحامد ويتملق بخور الثناء . وقد اختلفت الآراء فى خاتمة حياته وأرجحها المؤكد أنه لقى مصرعه مستشهدا فى سبيل الرأى الصريح ـ مما نبسط الحديث عنه بالتفصيل فى مقال آخر ـ ومع أنه كان فى صدر شبابه صديقا لعلى بك الكبير ومحمد بك أبى الذهب فقد سجل عليهم فى تاريخه العظيم ما رآه من المظالم . وارتفع بالتاريخ الى مرتبة لا تجنح الى الأهواء والميول . فليذكر صعاليك الصحافة ما كتبوه بالأمس فى صحائفهم عن فاروق ليعرفوا من يسير مكبا على وجهه ومن يمشى سويا على صراط مستقيم .

هذا هو الجبرتى العالم الأزهرى ابن العالم الأزهرى ! ! وهناك معه عشرات من علماء الأزهر جابهوا الباطل علانية دون استخذاء فلم تأخذهم ملامة فى جنب الله ، وبقيت أحاديثهم العاطرة تعبق فى رحاب الأجيال ! .

هناك العالم الأزهرى الجرىء الأستاذ حسن العدوى وقد شهد له الزعيم أحمد عرابى فى مذكراته السياسية شهادة تزن ما على الأرض من ثروة ومتاع ! فقـــد كان وزملاؤه الأزهريون فى طليعة رجال المؤتمر الوطنى الذى أصدر قراره التاريخى بعزل توفيق وتكليف

مكتبتنا العربية

الزعيم أحمد عرابى بالدفاع عن الوطن بعد أن قرئت على المجتمعين فتوى أزهرية إسلامية بمروق الخديوى وخيانته، فكان لها أكبر الأثر فى هيجان الشعور المصرى ضد الحاكم الخائن وحين انتهت الثورة إلى خاتمتها الأليمة تقدم الشيخ العدوى الى المحاكمة بجنان ثابت ووقار مهيب فسأله الرئيس : هل أفتيت بعزل الجناب الخديوى ؟ فأجاب من فوره : لم تصدر منى فتوى بذلك ومع هذا فأذا تقدمتم إلى بمنشور يتضمن هذه الفتوى فسأوقعه وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديوى يستحق العزل لمروقه عن الوطن والدين ! يقول هذا وقد شحذ الباطل أسنته وحرابه لينكل بالأحرار الباسلين ؛ فتتضاءل فى تقديره كل عقوبة ظالمة تتخيلها الأذهان ويرفع هامته فى ساحة المحاكمة عالية شماء ! .

هذا العالم الأزهرى الورع قد طلب منه أثناء زيارة السلطان عبد العزيز لمصر ضيفا على اسماعيل أن يقوم بتقليد رسمى كريه فينحنى الى الأرض ثلاث مرات يأخذ فيها السلام الى رأسه ثم الى فمه ثم الى صدره ويخرج موجها صدره الى الخليفة وظهره الى الباب ! وتوقع ذوو الأمر أن يفعل ذلك ولكنه اعتقد فى قرارة نفسه أن هذه تقاليد آثمة لا تنبع من روح الدين بل تعيد الوثنية ثانية فى أمة شرفها الإسلام بالتوحيد والمساواة فسخر بكل ماسمع ودخل الى الخليفة مرفوع الرأس قائلا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ثم ابتدره بالنصيحة ودعاه الى تقوى الله والخوف من عذابه ! وهاج الخديوى واضطرم الغيظ فى صدره ولكن السلطان يعجب بما يرى ويخلع على الرجل حلة ثمينة ويقول للحاضرين « ليس لديكم عالم سواه » [١] .

هذه الروح الكريمة التى نفثها القرآن فى النفوس لم تقتصر فى أحلك عهود الطغيان على فرد أو اثنين بل غمرت أناسا كثيرين عرفوا الله فعرفهم . وإذا كانت مواقفهم الخالدة قد فقدت المؤرخ الجرىء فقد تناقلتها الأفواه لسانا عن لسان وحملت الصدور ما خافت أن تعلنه الطروس ومن الذى لا يسمع بغضبة اسماعيل وقد توالت هزائم جيوشه فى الحبشة وأمر العلماء بقراءة البخارى فما غيرت شيئا من الموقف فصاح بالعلماء لستم من السلف الصالح فان الله لم يدفع بتلاوتكم شيئا ! فأجابه أحد العلماء : لقد قال

---

(١) من كتاب العدالة الاجتماعية فى الإسلام للأستاذ سيد قطب ص ١٦٨ ؛ وقد ألم أيضا بموقف الشيخ حسن الطويل من مقابلة توفيق .

مكتبتنا العربية

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » فانكسر الخديوى وسأل : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء ؟ فقال العالم : أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يحل الربا ؟! أليس شرب الخمر مباحا ؟ أليس الزنا برخصة ؟؟ أليس كيت وكيت ؟!! واندفع يذكر ما شاع بمصر من المنكرات ـ واسماعيل يسمع ويكظم ـ غير ما وجل ولا هياب [١] .

وهناك العالم الجليل الأستاذ حسن الطويل العالم الأزهرى فقد كان من عزة النفس والثقة بالله على جانب رفيع ممتاز ! دخل عليه رياض باشا وهو يدرس لطلابه بدار العلوم فما غير موقفه أو بدل جلسته وحين هم الزائر بالخروج قال له الأستاذ : لماذا لا أكون وزيرا معكم يا باشا ؟ فدهش الزائر وقال : أى وزارة تريد ؟ فقال : وزارة المالية لأستبيح من أموالها ما تستبيحون (٢) !! وكانت لطمة أليمة توجه الى حاكم أرستقراطى لم يألف التهكم والاستخفاف ! فخرج ثائرا مهتاجا واستدعى ناظر المعارف على مبارك ليعجل بفصله من وظيفته ولكن يدا أعلى من يد رياض باشا تقف فى وجهه فيتراجع ـ على غطرسته العاتية ـ مدحورا وقد آثر ألا يزور مدرسة أو معهدا بعد ذلك !!

هذا الرجل العظيم الشيخ حسن الطويل ، قد طلب منه أن يرتدى ملابس خاصة ليقابل بها الخديوى توفيق ، وحان الموعد المرتقب فجاء بملابسه المعتادة ، ومعه منديل يضم الملابس الرسمية . ثم قدمها للخديوى قائلا فى بساطة ! : إن كنت تريد الجبة والقفطان فهاهما ذان ، وإن كنت تريد حسنا الطويل ، فهأنذا حسن الطويل ! ! ثم قال الشيخ لجلسائه : كيف أتجمل لتوفيق بلباس لا أتجمل به لربى فى الصلاة !؟ . وهذا لعمرى منطق اليقين الجازم ، والإيمان العجيب ! !

وهناك الأستاذ الإنبابى شيخ الجامع الأزهر ، دخل عليه اللورد كرومر محييا ، فصافحه الأستاذ من جلوس ، فاستعظم اللورد ما صنع ، وسأله : ألست تقوم للخديوى ؟

---

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٠١

(٢) » » » » » » ١٨١

مكتبتنا العربية

فقال : نعم ، لأن الخديوى ولى الأمر ، وهـو منا ، ولست مثله لدينا فى شئ (١) ! ! ولم يقل الشيخ ذلك تزلفا للخديوى فهو العالم الجرئ الذى جابه توفيقا وأفتى بعزله ومروقه دون تحفظ أو اكتراث ، ولقد كان كرومر فى منعة عزيزة يتضاءل معها جاه خلفه الأخير «كلين» ومع الفارق البعيد بين الاثنين ، فقد رأينا رؤساء الحكومات ينكمشون ويتضاءلون جوار ما يلز لامبسون ، ثم لا يجدون من صحافة اليوم غير المديح والتنويه ! !

وهناك الأستاذ الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر . فقد أرادت حكومة مصطفى فهمى أن تضعف القضاء الشرعى إجابة لرغبة المعتمد البريطانى ، فدعت لتعديل اللائحة الشرعية مستندة الى نفوذ المستعمر كعهدها فى حكمها الطويل البهيم ! ! ولكن الشيخ حسونة يحمل على المشروع بكلمة موجزة فتطير فى الأمة كل مطير ويتأهب الكتاب لنقده نقدا جارحا فتتخاذل الحكومة وتؤثر انسحاب مشروعها الخاسر [٢] ولو كان هذا الموقف لزعيم سياسى لظلت صحفنا « المنصفة » ! ! تردده بين الحين والحين .

ومن المدهش العجيب أن الذين يكتبون عن الأستاذ الإمام محمد عبده يعز عليهم أن يعترفوا بمواقفه الخالدة من الحكام ويكبرون الحديث على علمه وجهاده فى التربية والإصلاح ونشاطه الاجتماعى ! ! بل ربما اتهموه آثمين بمحاباة الانجليز والدعوة الى الاحتلال ! ! أما موقفه الخالد فى الثورة العرابية ونفيه الى الخارج فلا يحتاج الى تسجيل ، وأما مواقفه المتكررة من عباس فيجب أن يسحب عليها ذيل العفاء ! !

لقد أراد الخديوى السابق أن يجعل أموال الأوقاف بقرة حلوبا تدر عليه الأرباح من أيسر طريق ، فوقف الإمام فى وجهه وقفة كشفت مطامعه للعيان ، ولعبت الشحناء دورها فى قلب عباس ، فتعقب الإمام فى كل طريق ناصبا مكايده الخاتلات ! !

لماذا عارض الخديوى إصلاح الأزهر ! ولماذا عارض إصلاح القضاء ! ! السبب واضح ، فالأستاذ الإمام قد رسم المنهج ، وأعد الخطة ، وأثار الرأى العام . فلا بد أن ترجع مشروعاته بالخيبة والإخفاق .

لقد كتب الأستاذ الإمام عن (محمد على رأس الأسرة الحاكمة) مقالا جريئا يبرزه على حقيقته أمام القراء ، فكان ثانى كاتب — بعد الجبرتى — فى مصر يصور

---

(١) من أخلاق العلماء للأستاذ محمد سليمان ص ١٨٢

(٢) مجلة الرسالة ص ١٦٣ السنة ١٥ نقلا عن فضيلة الأستاذ فرج السنهورى .

مكتبتنا العربية

بالعربية حقيقة هـذا الحـاكم السفاح ؛ وفى الوقت الذى احتفل فيه أساتذه النفاق بالذكرى المئوية « لساكن الجنان » منذ قريب ! ! كان هناك أزهرى ثالث هو العالم الأزهرى الداعية محمد الغزالى ينقل كلام الشيخ محمد عبده عن محمد على فى كتابه « تأملات فى الدين والحياة » ثم يشفعه بالتفسير والتوضيح ! ! ونحن ندعو القراء الى مطالعة ما كتبه محمد عبده والغزالى عن محمد على . ثم ليقرءوا الأعـداد الخـاصة من الصحف والمؤلفات الضخمة من الـكتب التى صدرت فى الذكرى المئوية (العزيزة !) تملقا لفاروق وإرضاء للباطل ! ! وحينئذ يعرف القارئون من المتزلف المتملق ، أنحن أم هؤلاء ! !

وأخيرا تعالوا بنا إلى المعهد القريب لتعلموا ماصنع مفتى الديار المصرية السابق الشيخ محمد بخيت المطيعى رحمه الله فقد لطم الاستعمار لطمة قاسية حين أصدر فتوى دينية وطنية فى مقاطعة الانجليز فسرت مسرى النار فى الهشيم و بددت مانسج من الأحلام والأمنيات . ولقـد كان الشيخ بخيت أكبر مفت للاسلام فى عصره ، و رفض ثروة مغرية قدمت إليه حين أصدر فتوى اسلامية فى و قف من الأوقاف قائلا كلمته الجليلة (العلم فى الإسلام لا يباع) ولعمرى إن هـذه الجملة الصغيرة على إيجازها العجيب . قانون إسلامى خالد يجب أن يتردد ويذاع ليؤمن به المسلمون ويعملوا به .

تعالوا بنا لتسمعوا شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم يقول لمندوب فاروق الذى كنتم أيها الصحفيون تعبدونه من دون الله : إننى لا أخاف من شئ ما دمت أتردد من بيتى إلى المسجد ! ! يقول هذا وقد تضافرت الأقلام والألسنة على تعظيم الطاغية وإكباره ، ولا يكتفى الشيخ بما ذكر بل يندد بتبذيره الفاحش و إسرافه المقيت ، فيصيح صيحته المشهورة « تقتير هنا وتبذير هناك » ! !

هذه بعض المواقف الرائعة فى تاريخ الأزهر ، ومن المؤسف أن يتعاون المأجورن على طمسها و إخفائها ؛ ليحولوا دون شرف خالد للتاريخ المصرى يوشك أن يندثر بلاتسجيل ! ! واذا كان منهم من يريد أن يطفئ نور الله فالله متم نوره ! ! ولن يعدم الحق لسانا يقول : « هاؤم اقرءوا كتابيه » .

محمد رجب البيومى

مكتبتنا العربية

الى الله . . .

عند ما تستشرى الأزمات ، وتختنق الأصوات ، ويسرف فى العسف الطغاة ، ويفتن فى الظلم العتاة . تزوغ من المظلومين الأبصار والبصائر ، وتكاد تتشقق منهم الأكباد والمرائر ، ويذهلون من سعير أهوال الحياة وما أشده من سعير ، ويتساءلون فى حيرة الفزع : إلى أين المصير ؟

وإذا صوت يصم الدنيا صداه ينادى الحائرين : افزعوا ـ إلى الله .

وكلما صر ناب المادية بعد أن يمزق من الإنسانية كيانها ، ولم يبق من الروحانيات حسنها أو إحسانها ، ولم يدع للأخلاق مظهرها أو ساطانها ـ تطلعت النفوس فى ألم الى هذا الانحلال ، ونقبت فى حسرة عن سر هذا الهزال ، فاذا الداء العياء وسر البلاء عدم الرضا بالقضاء . واذ ترجو كل نفس على الحياة طيب الظلال ، واذ تتمنى أن تنعم براحة البال ، لن تجد لها ما يهيئ تلك الحياة الا أن تفوض الأمر الى الله .

وكلما عبث الترف بالشعوب وبآمالها واستأسدت عوامله فى العمل على انحلالها فتاهت بين مباهج اللهو الرعية ورعاتها ، وضلت مسالك النجاة القافلة وهداتها ـ لم تجد تلك الشعوب ما يقيها العاديات ، وما يحميها من نيوب العثرات الا أصوات الصادقين تناديها ، وتصيح فى مترفيها : ليس من سبيل الى النجاة الا الرجوع الى الله .

وعند ما تختل على الدنيا المعايير ، وتتزعزع فى الحياة الموازين ، وتخلو للانتهاز بين الميادين ويمرغ النفاق على الأعتاب هامات الساقطين ـ تتطلع الحياة الكريمة الى الأخلاق تدمى جروحها والى المثل العليا تنهار صروحها ثم تتلفت من الأباة النفوس وتنتفض من حيرتها الرؤوس فاذا هتاف يهز الأباة : الجئوا الى الله .

ليست الحياة مالا حتى تتهالك النفوس على جمعه وإن أراقت فى سبيله ماء الوجوه ، فرب فقير تراه الدنيا هيكلا باليا كأنما هو ظل باهت يزحف على الأرض ، ولكن بين

جنبيه نفس عفيفة راضية تسطع فى حياته كأنما هى مرآة لم تغيرها زفرات الأحقاد ، أو يشعثها غبار الأهواء .

وليست الحياة جاها حتى يسرف الإنسان فى السعو إليه و إن اتخذ سلمه من جماجم المساكين وأشلاء المستضعفين ، فرب ضعيف وهت قوته ووهنت عزيمته ولكن برد الطمأنينة الذى يثلج صدره يحسده عليه الجبارون الذين يفزعون دائما من غضب الأرض والسماء .

وليست الحياة بعد هذا وذلك شهوة جسدية أو روحية حتى يتفانى المرء فى نيلها و إن فقد فى سبيلها كرامته ومروءته ، فرب إنسان تسوق إليه الدنيا أفانين الشهوات ، ولكن بين جوانحه ضمير حارس يحميه و يغضى عينه عن الزلات .

إن أشد الناس تمردا فى الحياة لا ينجو غدا من بأس الله .

و إن أكثر الناس بعدا عن الله لا بد أن يصيبه يوما غضب الله .

و إن العالم الذى ينزع الى التحلل من الدين ومن كل ماجاء به هذا الدين ليس بعزيز على الله أن يخسف به الأرض وأن يسقط عليه بروج السماء .

و إن الذين جمدت أحاسيسهم وضاع مكان العقيدة من قلوبهم فلا تأخذهم غيرة على دين الله ولا على تعاليم الله لا بد أن يحيق بهم سخط الله .

و إن التفريط فى واجبات هـذا الدين هو الذى جر على المسلمين اليوم كل ما يعانونه من و بال .

« توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » ولستم يومئذ قلة « ولكنكم كثرة كغثاء السيل » كثرة ترغو وتطفو عن كثب وتفور وتصطخب فيخالها المتفائلون قوة ماحقة ثم تقذفها أمواج الابتلاء على صخور الحياة فلا ترى العين منها إلا رذاذا يتطاير ثم يختفى من الوجود .

أيها المسلمون : إنكم مئات الملايين وقلوبكم كذلك مئات الملايين ، لكل قلب سبيل ولكل قلب أمل ولكل قلب هدف ووراء كل قلب هوى يوجه وكلما حاول المصلحون أن يجمعوا هذه القلوب على قلب واحد وأمل واحد وهدف واحد أرسل الاستعمار أفاعيه تنفث سمومها حتى تقضى على ماجمع الإخلاص ووحد الإصلاح .

مكتبتنا العربية

أيها المسلمون : إن عصا الاستعمار تفرق صفوفكم وتوشك أصابعه أن تعبث بكم وبمصايركم وكثرتكم تكاد تضيق بها رحاب الدنيا . فان اعتصمتم بحبل الله وربطت الأخوة الإسلامية بينكم فتألم المصرى لألم الصينى وثار الباكستانى لزئير الجزائرى أرهبتم العالم وانتصرتم « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » .

أيها المسلمون : حسبكم هذا التفكك وذلك التحالل فأن ذؤبان البشرية توشك أن تلغ فى دمائكم إن لم تغيروا ما بأنفسكم وتنزحوا عن مظاهركم الكاذبة راجعين إلى الله .

أيها المسلمون : ارفعوا رؤوسكم دائما إلى السماء لتستلهموا من ربها القوة والسداد ولا تهولنكم أحابيل المستعمرين ، ومكايد أعوان المستعمرين ؛ فأنتم قوة اذا شحذت ونظمت واستعملت لا تبقى ولا تذر ولا يتم ذلك إلا إذا تعاهدتم على أن تهاجروا من دنيا الغش والخداع إلى الله .

أيها المسلمون :

إنكم لن تهنوا أبدا ؛ وإن الله لن يخذلكم أبدا ؛ إذا كنتم فى كل ما تأتون وما تذرون تبغون وجه الله وترجعون دائما إلى الله ؟

محمد محمد خليفة

المدرس بالأزهر

سؤال غير الله

سمع على رضى الله عنه رجلا يسأل الناس يوم عرفة ، فقال له :

أفى هذا اليوم ، وفى هذا المكان تسأل غير الله ! وخفقه بالدرة .

مكتبتنا العربية

نظام نقد اسلامى بلا أرباح

«الدكتور محمد حميدالله ـ مؤلف هذا الفصل ـ يحمل شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة بون (ألمانيا) والدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس ، شاب مسلم من الهند كان أستاذ القانون الدولى سابقا فى الجامعة العثمانية فى «حيدر أباد الدكن» والأستاذ حاليا فى جامعة باريس ألف كتبا قيمة متعددة فى التاريخ الإسلامى . وآخر كتاب بديع أصدره بالإنكليزية (غزوات النبي محمد صلى الله عليه وسلم) وهو أدق كتاب بل لعله الكتاب الأول الوحيد من نوعه الذى تفرد بدراسة الغزوات النبوية من وجهة استراتيجية . زار الحجاز مرات عديدة لأخذ صور البقاع التى حدثت فيها تلك المعارك والآثار القائمة عليها ـ وهو الكتاب الذى ينقله باذن من المؤلف كاتب هذه الكلمة والذى سيكون متمما لكتاب « النبي المثالى » الذى فرغ الكاتب من نقله للعربية والذى يعتبر أبلغ كتاب عرف فى أية لغة من لغات العالم عن خاتم النبيين ابن الإنسانية البكر « النبي محمد صلى الله عليه وسلم »

ع.م.س

* * *

لم يكن الإسلام الدين الوحيد الذى حرم الربا . ولكنه الدين الوحيد الذى أثار الطريق الى مجتمع لا يقوم نظامه المالى على الربا .

ومن تحصيل الحاصل أن الإنسان لا يدفع الأرباح عن النقود التى يقترضها عن طيبة خاطر وانما يفعل ذلك بحكم الاضطرار فان مجرد اعلان عدم شرعية هذه الأرباح أو حتى تحريمها يظل عديم الجدوى وخاصة حين تخالف جميع الحضارات وجميع القوانين وجهة النظر الإسلامية . أجل، ليس الإسلام الدين الوحيد الذى تفرد بنبذ شرعية الأرباح على القروض بأعنف العبارات كقوله تعالى [١] « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ ـ ٢٧٩ .

مكتبتنا العربية

البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فـله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فأن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

ولكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى مهد الطريق للخروج من هذه المعضلة التى سأعود إلى شرحها فى مكانها من هذا المقال . وما دامت الحكومات الإسلامية تعمل بروح القرآن الكريم فلا مجال لجيل من سلالة شيلوخ [١] أن يعيش فيها . ولقد حان الوقت لأحياء ذلك النظام الإسلامى والتوفيق بينه وبين ظروف الوقت الحاضر .

أن التعبيرين الإسلاميين « الزكاة » و « الصدقة » وإن دلا فى الآيات القرآنية الكريمة التى نزلت قبل الهجرة على مجردة الإحسان والمساهمة فى أعمال الخير فأن الآيات القرآنية الأخرى المنزله بعد الهجرة وأحاديث النبى الكريم جعلتهما يعنيان أشياء جديدة بعد تأسيس الدولة الإسلامية . ومنذ ذلك الوقت أخذت كلمة الزكاة (ومرادفاتها) تعنى واردات الدولة الإسلامية المجموعة من جيوب دافعى الضرائب من المسلمين الفئة التى تكونت منها الدولة الإسلامية على مدى الوقت والفئات الأخرى التى دخلت فى دين الله أفواجا بعد ذلك فى أوقات متنوعة ومن الواردات التى كانت تجبى على الزائد من الملكية الخاصة ومن الأراضى المزروعة والصادرات والواردات وغيرها .

وتشترط الآية القرآنية الكريمة المشهورة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » التى توضع بموجبها الميزانية الإسلامية على الدولة الإسلامية أن تخصص جزءا من وارداتها (الصدقات) للغارمين (الذين ثقلت ديونهم) وهم طبقة ميزها القرآن الكريم فى الآية الكريمة السابقة عن الفقراء والمساكين (الفقراء من المسلمين وغير المسلمين فى الدولة الإسلامية) [٢] .

---

(١) شيلوخ : المرابى اليهودى المشهور فى رواية تاجر البندقية لشكسبير .

(٢) انظر وجهة نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى تفسير الطبرى وفى كتاب الخراج لأبى يوسف عن هذا الرأى .

ومن الأمور التى لاتقبل الجدل أن الحكومة وحدها هى الخليقة فى مجتمع منظم – وليس الأفراد – بالتنازل عن الأرباح عند منح القروض للناس .

إن القرآن ليأمر الحكومة الإسلامية بالاحتفاظ بجزء من وارداتها كل عام بما يقدر بثمن تلك الواردات فى رأى بعض مدارس الشرع الإسلامية – فى سبيل تقديم المساعدة للأغنياء الذين تضطرهم ظروف لا قبل لهم بدفعها الى اقتراض النقود . فلقد كان الاقتراض شائعا فى صدر الإسلام كما روى التاريخ وبصورة خاصة زمن حكم الخليفة الثانى عمر بن الخطاب مقابل تقديم الضمان من خزينة الدولة وأن تعاد دون أخذ الأرباح عليها . فهذا الخليفة عمر المتشدد فى حدود الله لم يتردد فى الالتجاء إلى هذا النوع من الاستفادة من بيت المال الذى كان شديدا لحرص عليه والذى كان يطلق عليه اسم «ملك اليتامى» وفى الواقع كان يعيد لبيت المال الدين المأخوذ بهذا الأسلوب حين يتناول راتبه نصف السنوى من قسم الديوان فى بيت المال .

ليس هناك أى سبب يمنع من احياء هذا النظام والتوفيق بينه وبين الحاجات التى يتطلبها العصر الحديث كمنح القروض على سبيل المثال لبناء المساكن وتحسين التجارة والصناعة والاشتغال بهما واعادة هذه القروض على أقساط ميسرة تمتد الى عدد من السنين . والذى لا مرية فيه أن الحكومات لا تخسر فى تعففها عن الأرباح على القروض التى تقدمها لرعاياها لأنها ستسترد عن طريق الرخاء المتزايد فى نهاية المطاف الربح فى صورة الدخل الوافر من الضرائب على العقار والصناعة والتجارة ومع كل ذلك فليس هذا هو الرأى الذى رميت الى شرحه فى هذا المقال .

إن الأفراد اليوم ليسوا وحدهم فى حاجة الى الاقتراض بل الحكومات كذلك فى حاجة مستمرة الى اقتراض النقود بالملايين والبلايين لتمويل برامج الإنشاء والتعمير . هنالك مؤسسة للنقد فى أمريكا الا أنها كما يتوقع من مؤسسة من نوعها تقوم على الأرباح . والضرورة الملحة تدعو الى قيام مؤسسة اسلامية للنقد على أسس متينة . وقبل اقتراح الطرق والوسائل لمؤسسة من هذا النوع أرجو من القارئ المعذرة فى الخروج عن الموضوع مرة أخرى .

تجربة شخصية فى القروض التى لا ربح فيها

حين انحطت الحكومات الإسلامية الى المستوى الذى أهملت فيه سنن الإسلام ونسيت عنده الواجب القرآنى الذى يتطلب منح قروض لا ربح فيها للغارمين قامت بعض

مكتبتنا العربية

البلدان الإسلامية بتطبيق مشروع نجح نجاحا كبيرا ، وأعنى به المشروع الذى طبق فى حيدر أباد الدكن فى الهند قبل التغيرات الأخيرة فى شبه القارة الهندية حين تم تأسيس جمعيات لمنح القروض التى لا ربح فيها على أساس المصالح المتبادلة فى السنوات الـ ٨٠ الأخيرة من القرن الماضى التى استيقظ فيها الضمير الإسلامى، وقد ابتدأ التطبيق عام ١٩٤٨. ولنفرض على سبيل المثال أن مجموعة من الموظفين فى إحدى الإدارات قامت بتأسيس جمعية واتباع كل عضو من أعضائها سهما أو أكثر بالنسبة لحالته المادية على أن يدفع قيمة الأسهم أقساطا تنتهى بعد مائة شهر فاذا افترضنا أن المساهمين (٥٠) شخصا وأن قيمة القسط الواحد جنيه واحد نجد أن مجموع ما يدفع فى الشهر الأول يساوى (٥٠) جنيها ويقع على عاتق اللجنة التنفيذية المنتخبة لتلك الجمعية تقرير المساهم الذى يستحق أن تقرضه هذا المبلغ قرضا حسنا بعد تقديمه التأمين اللازم وفى الشهر التالى يصبح المبلغ ليس ٥٠ جنيها فحسب وإنما يضاف إليه القسط الشهرى الذى يدفعه المساهم الذى اقترض الـ ٥٠ جنيها فى الشهر الأول، وعلى هذا المنوال يتزايد الوارد شهرا بعد شهر ويزداد تداوله بين المساهمين. وبعد مضى سنوات معدودات يتوفر لدى الجمعية رأس مال كان يكفى لسد جميع حاجات المساهمين وزيادة على ذلك أخذ المساهمون يودعون لدى الجمعية ما يزيد عن حاجتهم من النقود على طريقة الحساب الجارى دون أخذ ربح عليه وقد ساعد ذلك الجمعية أيضا على القيام بواجبها بصورة واسعة ولم تسمح الجمعية بقبول مساهمين جدد فيها فحسب وإنما سمحت للمساهمين القدامى بسحب أسهمهم وحسابهم الجارى من الجمعية فى الوقت الذى يروق لهم وذلك بأعلام الجمعية عن رغبتهم قبل فترة معقولة من الزمن حسب أنظمتها. أما ما يتعلق بنفقات أعمال الجمعية كالقرطاسية وأجور المحاسبات والخدمات الضرورية الأخرى فقد كان كل عضو يدفع شهريا دراهم قلائل لهذه الغاية أما فى الجمعيات الصغيرة فقد كان المتطوعون يقومون بالعمل دون تناول الأجور وتمكنت الجمعيات من توفير رصيد احتياطى من تبرعات الأعضاء تواجه به الخسائر غير المنتظرة.

لقد عرفت جمعيات كان عدد الأعضاء فيها يزيد على الـ (١٠٠٠) وقد أصبح رصيدها النقدى الاحتياطى بمرور الزمن كبيرا الى درجة أمكنها من استخدامه فى تأسيس مؤسسات تعاونية لبضائع لا تتلف كالحبوب والأقمشة وما شابهها ؛ والتى كان الأعضاء يأخذون حاجتهم منها بالنسيئة ، فتشترى تلك المخازن بحكم العادة البضائع بسعر الجملة وتبيعها بالتجزئة حسب الأسعار السائدة فى السوق المحلية، والربح الذى يتراكم يصرف قسم منه على أجور العاملين فى المؤسسة ويوزع قسم منه على أعضاء الجمعية ، وأما ما يتبقى فيحتفظ به كرصيد احتياطى .

مكتبتنا العربية

الحكومات الاسلامية تستطيع إقامة مؤسسة نقدية للقروض بدون أرباح

والآن لو أن الحكومات الإسلامية أقامت بالتعاون مؤسسة نقدية على نفس المبدأ فأن رأس المال مهما كان متواضعا فى البداية سيصبح فى مدى أعوام قليلة رأس مال لا يستهان به ويؤدى الى نتائج مفيدة، فلو تيسر إقامة هذه المؤسسة فى مكة المكرمة مثلا وابتاعت كل حكومة اسلامية ـ من باكستان وأندونيسيا الى الكويت فتونس ـ أسهما من أسهم هذه المؤسسة تدفعها أقساطا سنوية بمئات الألوف من الجنيهات اذا لم يكن بالملايين، فأن ذلك لا يعادل غير جزء ضئيل من نفقاتها السنوية ؛ وقد تكون واردات المؤسسة فى السنة الأولى متواضعة والطلب على القروض عظيما ؛ غير أن اللجنة التنفيذية المنتخبة تستطيع بيسر وسهولة مشفوعة بروح العدالة وحسن النية والخير نحو الجميع أن تعرف القطر العضو أوالأقطار التى تستوجب الحالات الملحة فيها منح القروض غير ذات الأرباح والتى تعاد الى المؤسسة فى مدى عشر سنوات أو خمس عشرة سنة. ومما لاشك فيه أن اللجنة التنفيذية ستنظر بعناية بالغة فى الأسباب الموجبة للقرض وكذلك الحصول على الضمانات التى تكفل عدم تبذير القرض فى مشاريع غير انتاجية. وسوف تتم عمليات الأقراض مرة واحدة فى السنة فى موسم الحج مثلا، وذلك يجعل نفقات الإدارة والتأسيس يسيرة، وفى اتخاذ النظام القمرى فائدة أخرى فى زيادة رأس مال المؤسسة، لأن الأعضاء فى مدى ست وثلاثين سنة قمرية تكون مدفوعاتهم بالنسبة للنظام الشمسى سبعة وثلاثين قسطا.

ولو فرضنا جدلا أن ما يدفع فى السنة الأولى لايزيد على عشرة ملايين فأن رأس مال المؤسسة فى عشر سنوات فقط سيصبح مائة مليون جنيه أو أعظم من ذلك بكثير بمرور الزمن. وليس هناك أى سبب يمنع حتى التركستان أو أذربيجان وقازان وغيرها من الانضمام إلى عضوية المؤسسة.

أى إنسان لايرحب بالحصول على قرض لايدفع ربحا عليه؟ إن هذه المساعدة الذاتية ستخفف الى حد ما الضغط الأجنبى على الاستقلال الاقتصادى للحكومات الإسلامية وستجلب الرخاء لا للمسلمين فحسب وإنما سيظهر للدنيا بأسرها بصورة عملية كيف يستطيع الإسلام هدايتهم لحل مشاكلهم الاقتصادية كما هداهم لحل مشاكلهم الروحية.

بغداد

على محمد سرطاوى

مكتبتنا العربية

نظرية الحرية فى الشريعة الاسلامية

من المبادئ الأساسية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية مبدأ الحرية ، فقد أعلنت هذه الشريعة الحرية من يوم نزولها ، وقررتها فى أروع مظاهرها . فقررت حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد ، وحرية التملك ، وحرية العمل ، إلى غير ذلك من الأفعال المادية والمعنوية . وسنتكلم فى هذا الموضوع عن الحريات التى تعتبر من حق الفرد الطبيعى ، ألا وهى حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية الاعتقاد .

أولا : حرية التفكير

أعلنت الشريعة الإسلامية من يوم نزولها حرية التفكير . ولا شك أن هذا التفكير مرتبط أشد الارتباط بوظيفة العقل . فهى تدعو إلى التفكير فى كل شئ ، وذلك بحث الأفراد بشتى الوسائل والطرق على التفكير فى خلق السموات والأرض وفى خلق أنفسهم وفى غير ذلك من المخلوقات ، وتدعوهم إلى التفكير فيما تقع عليه أبصارهم وما تسمعه آذانهم ، ليصلوا من وراء ذلك كله الى معرفة الخالق الأحد وليستطيعوا على هداه التمييز بين الحق والباطل .

ولقد حث القرآن الكريم على استخدام العقل وتحرير الفكر . ونصوص القرآن حضت على ذلك . ففى قوله تعالى فى سورة البقرة الآية ١٦٤ : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » . وفى قوله تعالى فى سورة الروم الآية ٨ : « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون » .

وقوله تعالى فى سورة يونس الآية ١٠١ « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وقوله تعالى فى سورة سبأ الآية (٤٦) « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » واقرأ معى قوله تعالى فى سورة ق الآية (٣٧) « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وقوله تعالى : فى سورة الطارق الآية (٦) « فلينظر الإنسان

مكتبتنا العربية

ثم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والـترائب » وقوله تعالى فى سـورة الغاشية الآية (١٧) « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، و إلى السماء كيف رفعت ، و إلى الجبال كيف نصبت ، و إلى الأرض كيف سطحت » . فمن هـذه الآيات نجـد أن القرآن الـكريم دعا الأفراد إلى البحث والنظر والتفكير . ولا تكاد تخلو سورة من السور من هذه الآيات . واستيعاب ذلك مما يضيق عنه هذا المقام .

وفى هذا الصدد نحب أن نتعرض لمسألة تخبط فيها كثير من الباحثين . تلك هى : ما مصير من لم يقصر فى النظر والبحث ، ولـكنه مع ذلك لم يستطع الوصول الى العقيدة الحقة فى الدين ؟

ولقد تناول هذه المسألة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش فى كتابه القيم (الإسلام دين الفطرة والحرية) وسأنقل هذا الموضوع الى القراء . تناول هذا الموضوع بقوله :

« للعلماء فى هذا المقام آراء مبسوطة فى الـكتب المختصة بها ، ولا يعنينى هنا الا أن أعتمد على آيات القرآن دون ما قالوه فأستفتيها فى حكم ذلك الفريق من الناس ، إلا أننى قبل ذلك أسترعى ذهن القارئ الى المسلمات الأولية التالية :

١ — أنه ليس فى استطاعة العقل البشرى اذا قام عنده الدليل الصحيح على حكم أن يرتاب فيه .

٢ — أنه ليس فى مقدور العقل البشرى أن يقول بجواز صحة أمرين متناقضين معا .

٣ — اذا تعارض حكمان يعتمد أحدهما على الحجج القاطعـة ، كان من المستحيل تكليف العقل أن يغلب على سواه .

لاحظ دين الفطرة جميع هـذه القضايا الفطرية وجاء كتابه السماوى مصدقا لهـا . ثم جاء الخلف من العلماء يؤيدونها ولـكنهم ان اختلفوا بعض الشىء فيما عن لهم من الآراء تجدهم أجمعوا على قاعدة أنه يجب أن يؤول الى حكم العقل من الشرعيات ماظاهره يخالف العقل . وهل هذا إلا وقوف عند حـدود المسلمات العقلية ونزول على حكم الفطرة البشرية وهل كان للعقائد أن تـكون بالجبر والإرغام ؟ أم هـل كان لدين الفطرة دين البحث والنظر أن يكلف بالعقيدة من قصرت عقولهم عن إدراكها أو من تزاحمت عليهم الشكوك والشبهات حتى عجزوا عن صدها ومدافعتها ؟

مكتبتنا العربية

وهل يقول بهذا القول ذلك الدين الذى قوض دعائم الإيمان بغير المعقولات وأقام على أنقاضها عقيدة الإيمان اليقين المتحصل من طريق العقل والنظر ؟

إن الله تعالى لأعدل وأحكم من أن يكلف الناس ما ليس فى طاقتهم أو أن يلزمهم الإيمان بما لم يهدهم الى حجته و برهانه . يفقه ذلك من يتدبر قوله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

اذن فلنعد الآن الى سرد آى القرآن الكريم المناسبة لهذا المقام مكتفين منها بما يلى :

١ — « قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟ » .

٢ — « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

٣ — « قد بينا الآيات لقوم يوقنون . انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » .

٤ — « إن عليك إلا البلاغ » .

٥ — « إنما أنت منذر » .

وخلاصة القول أن القرآن — الذى هو كتاب دين الفطرة — ما كان ليأتى بما ينافى الآراء القويمة أو تغم حكمته على العقول السليمة ولم يكن ليكلف العقل الإيمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم ما لا طاقة له به أو أن يفترض على الإنسان ما ليس من موسوعات فطرته . إذن فوظيفة البشر رسم أقرب الطرق الى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلكة التى يغشاها طلاب الحق والحقيقة لا من طريق الوحى بل من طرائق التجارب ومصارعة شياطين الإنس من الحكام الجائرين وعصابات رجال الدين المضلين . ولنا على ذلك ما نشاء من الأدلة والشواهد لننظر كيف ومتى صحت عزيمة الأمم الغربية إزاء الطلاق وتحريم الخمر والقمار وكيف ومتى تحررت فيهم العقول البشرية أو أبيحت حرية التفكير والنشر وتقررت بينهم حقوق الإنسان . سائلوا الثورات الدينية والسياسية تنبئكم مبلغ ما أريق فيها من الدماء وأزهق فى سبيلها من الأرواح . سلوها تصف لكم فواجعها وأهوالها وما أصاب الأمم من شرورها ونكباتها .

مكتبتنا العربية

إقناع القرآن للمجادلين من أرباب الملل والنحل والمقلدين :

لقد جادل القرآن الكريم أرباب الملل والنحل المجادلين فما قارعهم الا بالبرهان ولا دعاهم الا الى البحث والنظر . من ذلك آية « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ويعيب القرآن على الناس عدم تحكيم عقولهم وتقليدهم لغيرهم وتعطيلهم لفكرهم وايمانهم بالخرافات والأوهام فهو يصف من كانوا على هذه الشاكلة بأنهم كالأنعام بل أضل منهم سبيلا لأنهم يتبعون غيرهم بغير تفكير ولا يحكمون عقولهم فيما يعملون أو يقولون أو يسمعون ولأن العقل هو بغير جدال الميزة الوحيدة التى ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فأذا شل تفكيره وألغاه تساوى بالأنعام بل كان فى مستوى أقل منها .

ونصوص القرآن صريحة فى تبيان هذه المعانى . قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» البقرة الآية ١٧٠

مما تقدم نجد أن القرآن اذا تحاكم فالى العقل ، واذا حاج فبحكم العقل ، واذا سخط فعلى معطلى العقل واذا رضى فعن أولى العقل . ويحق لنا حينئذ أن نقول بكل ثقة : إن الدين الإسلامى دين العقل .

مدى التفكير الإنسانى :

وللانسان أن يفكر فيما شاء كما يشاء دون أن يتعرض للعقاب على هذا التفكير .. الحكمة فى ذلك أن الشريعة لا تعاقب الإنسان على أحاديث نفسه وإنما تؤاخذه على ما أتاه من قول أو فعل محرم وذلك ما يتفق وقول الرسول الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام « إن الله تجاوز لأمتى عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم » .

ثانيا : حرية القول

أباحت الشريعة الإسلامية حرية القول وجعلتها حقا لكل إنسان ، لأن الإنسان ميال بفطرته إلى أن يكون مطلق الحرية فى إبداء رأيه لا سلطان لأحد عليه فى التعبير عما يريد .

مكتبتنا العربية

وحرية القول هذه ليست مطلقة من كل قيد بل هى أحيانا مطلقة فى حدود ، وأحيانا مقيدة بقيود . فالإسلام من يوم مجيئه قرر للفرد حرية إبداء رأيه وجعله واجبا عليه فى كل ما يحقق الخير وينصر الحق ، وفى كل ما يمس الأخلاق والمصالح العامة والنظام العام ، وفى كل ما تعتبره الشريعة منكرا . قال تعالى فى سورة آل عمران الآية ١٠٤ « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وقال فى سورة الحج الآية ٤١ « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » وفى الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فأن لم يستطع فبلسانه فأن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) وقوله (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وقوله (الدين النصيحة . قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) وقوله (لا يحقرن أحدكم أن يرى أمرا لله فيه مقال فلا يقول فيه ، فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت كذا وكذا ؟ فيقول مخافة الناس . فيقول الله : إياى أحق أن تخاف) وقوله (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) .

فمن هذا الحديث السابق نجد أن الإسلام قد رفع درجة من قتل فى سبيل الجهر برأيه والدفاع عن الحق الى مصاف أعظم الشهداء .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يبدون آراءهم فى كل ما يعرض من شئون لم ينزل فيها وحى والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع لهم ويناقشهم فى أقوالهم ثم يأخذ بما يترجح عنده . ونذكر من ذلك : اعتراض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبول شروط الأحزاب للجلاء عن المدينة بعد أن كاد النبى صلى الله عليه وسلم يمضيها إشفاقا على المسلمين .

وكان عمر فى خلافته مع شدته وخشية الناس له يتقبل النقد النزيه ويخضع لقوة الحق . قال لخالد بن الوليد حين عزله وصادر ماله : « لقد شكوتك يا عمر الى المسلمين ، وبالله إنك فى أمرى غير مجمل » فقال له عمر : والله إنك على لكريم وإنك الى لحبيب ، ثم كتب الى الأمصار : « انى لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به » .

وعلى هذا النهج سلك الصالحون الأولون من المسلمين وولاة الأمر فيهم من الجهر بما يعتقدون أنه الصواب وقبولهم لكل نقد يكون الدافع اليه نصرة الحق والتبصير به .

مكتبتنا العربية

وإذا كان لكل إنسان أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويدافع بلسانه وقلمه عن عقيدته فإن حرية القول ليست مطلقة ، بل هى مقيدة بأن لا يكون ما يكتب أو يقال خارجا عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة ، أو مخالفا لنصوص الشريعة . فقد قررت الشريعة حرية القول ولكنها فى الوقت نفسه قيدت هذه الحرية بالقيود التى تمنع من العدوان وإساءة الاستعمال ، وكان أول من قيدت حريته فى القول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وهو رسول الله الذى جاء معلنا للحرية مبشرا بها ـ ليكون قوله وعمله مثلا يحتذى ، وليعلم الناس أنه لا يمكن أن يعفى أحد من هذه القيود إذا كان رسول الله أول من قيد بها مع ما وصفه به ربه من قوله « وإنك لعلى خلق عظيم » . فالإسلام شرط التزام الحكمة وحسن الموعظة فيمن حرص على اكتساب حق الحرية فى الجهر بالرأى والدعوة اليه ، ونقد آراء الغير . فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» . فلقد أمر الله رسوله أن يبلغ رسالته للناس وأن يدعو الناس جميعا الى الإيمان بالله وبالرسالة وأن يحاج الكفار والمكذبين ويخاطب عقولهم وقلوبهم ، ولكن الله جل شأنه لم يترك لرسوله حرية القول على اطلاقها فرسم له طريق الدعوة ، وبين له منهاج القول والحجاج ، وأوجب عليه أن يعتمد فى دعوته على الحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن يعرض عن الجاهلين ، وأن لا يجهر بالسوء من القول ، وأن لا يسب الذين يدعون من دون الله . وإن شئت اقرأ قوله تعالى فى سورة الأعراف (١٩٩) « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وسورة الأعلى (٩) « فذكر إن نفعت الذكرى » وقوله تعالى : فى سورة النساء (١٤٨) « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » وقوله تعالى فى سورة الأنعام (١٠٨) «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » وقوله تعالى فى سورة العنكبوت (٤٦) « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم » . وهذه النصوص القرآنية تعتبر دستور القول فى الشريعة الإسلامية .

وكذلك فى الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء» . ومن الحكمة فى إبداء الرأى أن يكون عن معرفة وتفكير فليس من الحكمة أن يبدى المرء رأيا أو يروج له أو ينقده دون معرفة أو تفكير ، أو يناصر رأيا يعلم ضعفه أو بطلانه ، أو ألا يخضع للحق بعد ظهوره إرضاء لشهوة نفسية أو ايثارا لمصلحة شخصية أو حزبية .

مكتبتنا العربية

ففى القرآن « ولا تقف ماليس لك به علم » سورة الإسراء (٣٦) « وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين » سورة الأنعام (١١٩) « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » سورة الحج (٨) « هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم » آل عمران (٦٦) .

وحرية القول فى الحدود التى وضعتها الشريعة تعود دون شك على الأفراد والأمم بالنفع والتقدم وتؤدى الى نمو الإخاء والحب والاحترام بين الأفراد والهيئات ، وتجمع كلمة أولى الأمر على الحق دون غيره ، وتجعلهم فى حالة تعاون دائم ، وتقضى على النعرات الطائفية والشخصية . وهذا كله ينقص العالم اليوم ، أو يبحث عنه العالم فلا يهتدى اليه .

والمشرعون الوضعيون ينقسمون اليوم قسمين : قسم يرى حرية القول دون قيد الا فيما يمس النظام العام ، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أى اهتمام ، وتطبيق رأيهم يؤدى الى التباغض والتحزب ثم القلاقل والثورات . وقسم آخر يرى تقييد حرية الرأى فى كل ما يخالف رأى الحاكمين ونظرتهم للحياة ، وتطبيق رأى هؤلاء يؤدى الى كبت الآراء الحرة وابعاد العناصر الصالحة عن الحكم ويؤدى فى النهاية الى الاستبداد . وهذا الكبت والاستبداد ينتهى الى التشاط فى الظلام ونشر الأكاذيب والشائعات وقيام الفتن والثورات .

ونظرية الشريعة الإسلامية تجمع بين محاسن هاتين النظريتين اللتين تأخذ بهما دول العالم ذلك أن نظرية الشريعة تجمع بين الحرية والتقييد وهى لا تسلم بالحرية على اطلاقها ولا بالتقييد على اطلاقه فالقاعدة الأساسية فى الشريعة هى حرية القول ، والقيود على هذه الحرية ليست الا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام . والواقع أن هذه القيود قصد منها حماية الأخلاق والآداب والنظام ولكن هذه الحماية لا تتيسر الا بتقييد حرية القول فاذا منع القائل من الخوض فيما يمس هذه الأشياء فقد منع من الاعتداء ولم يحرم من أى حق لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقا .

والخلاصة من كل ذلك أن الشريعة الإسلامية تبيح لكل فرد أن يقول ما يشاء دون عدوان ، فلا يكون شتاما ولا عيابا ولا قاذفا ولا كاذبا ، وأن يدعو إلى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن لا يجهر بالسوء من القول ولا يبدأ به ، وأن يعرض عن الجاهلين . ولا جدال فى أن من يفعل هذا يحمل الناس ويشجعهم على أن يسمعوا قوله ويقدروا رأيه فضلا عن بقاء علاقاته بغيره سليمة ، ثم بقاء الجماعة يداواحدة تعمل للمصلحة العامة .

مكتبتنا العربية

ثالثا : حرية الاعتقاد

يعتبر من مفاخر الشريعة الإسلامية أنها أول شريعة أباحت ونادت بحرية الاعتقاد وعملت على صيانة هذه الحرية وحمايتها الى آخر الحدود . فلكل انسان طبقا للشريعة الإسلامية أن يعتنق من العقائد ما شاء وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها أو يمنعه من اقامة شعائرها والجهر بها أو يلحق به أذى بسببها وذلك أن الإسلام لا يرى صحة العقيدة الا اذا جاءت وليدة تفكير حر وثمرة اقتناع تام ولا يعد المكره على عقيدة ما مؤمنا بها مؤاخذا بأحكامها فيما بينه وبين الله تعالى : « وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » سورة البقرة ٢٨٤

واذا وجد صاحب أى عقيدة غير عقيدة الإسلام أنه لن يتمكن من اقامة شعائره أو سوف يلحقه أذى من جراء ذلك فأنه يجب عليه أن يهاجر الى بلد يتمتع فيه بحرية عقيدته .

والشريعة بتقريرها حرية العقيدة كانت عملية لأنها لم تقتصر على إعلان هذه الحرية ، وإنما اتخذت لحمايتها طريقين :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الأولى : ألزمت الشريعة الإسلامية الناس أن يحترموا حق الغير فى اعتقاد ما يشاء وفى تركه يعمل طبقا لعقيدته ، فليس لأحد أن يكره آخر على اعتناق عقيدة ما أو ترك أخرى ، ومن كان يعارض آخر فى اعتقاده فعليه أن يقنعه بالحسنى ، ويبين له وجه الخطأ فيما يعتقد . فأن قبل أن يغير عقيدته عن اقتناع فليس عليهما حرج ، وإن لم يقبل فلا يجوز إكراهه ولا الضغط عليه بما يحمله على تغيير عقيدته وهو غير راض ، ويكفى صاحب العقيدة المضادة أنه أدى واجبه فبين الخطأ وأرشد إلى الحق ، وترى هذه المعانى صريحة فى قوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » البقرة ٢٥٦ . وقوله « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! » يونس ٩٩ . وقوله « فذكر ، إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » الغاشية ٢١ ، ٢٢ . وقول الله تعالى فى سورة النور الآية ٥٤ « وما على الرسول إلا البلاغ المبين » وقوله « ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدى من يشاء » سورة البقرة ٢٧٢ .

مكتبتنا العربية

الثانية : إلزام صاحب العقيدة نفسه أن يعمل على حماية عقيدته ، وأن لا يقف موقفا سلبيا ، فأذا عجز عن حماية نفسه تحتم عليه أن يهاجر من هذه البلدة التى لا تحترم فيها عقيدته الى بلد آخر يحترم أهله العقيدة ، ويمكن فيه من إعلان ما يعتقده ، فأن لم يهاجر وهو قادر على الهجرة فقد ظلم نفسه قبل أن يظلمه غيره، وارتكب إثما عظيما ، وحقت عليه كلمة العذاب ، أما إذا كان عاجزا عن الهجرة فلا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وهذا هو القرآن ينص صراحة على ذلك فى قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » النساء . الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

وقد بلغت الشريعة الإسلامية غاية السمو حينما منحت غير المسلمين حرية العقيدة ، وتركتهم لاختيارهم بعد مناقشتهم بالتى هى أحسن ، وبيان وجه الحق لهم ، وأمنتهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وصلبانهم ، ومكنتهم من اقامة شعائرهم على الوجه الذى يريدون .

ففى الحديث : « من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة » ، « من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة » .

وأمضى عمر رضى الله عنه معاهدة مع رسل أسقف بيت المقدس جاء فيها :

« هذا ما أعطى عمر أهل إيلياء (بيت المقدس) من الأمان : أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم . ولكنائسهم وصلبانهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد اكتفى الرسول عليه الصلاة والسلام من المشركين وأهل الكتاب فى حقن دمائهم واحترام حقوقهم بالجزية إذا أبوا الاسلام ، يدفعونها فى سبيل حماية أرواحهم وأموالهم واستمتاعهم بما للمسلمين ، فهم إذا ما دفعوها كان لهم ما للمسلمين من الحقوق ، وعليهم منها ما عليهم . واذا تصفحنا التاريخ الإسلامى وجدنا الأمثلة الكثيرة على هذا .

هـذه هى نظرية الحرية جاءت بها الشريعة الإسلامية فى وقت كان الناس فيه لايفكرون بعقولهم ، ولا يحفلون الا بما وجدوا عليه آباءهم ، وكان من الطبيعى فى نظرهم أن يكره الرجل على تغيير عقيدته ، ولم يكن لأحد حرية القول أو التفكير الا أصحاب السلطان والأقوياء . وقد لقى المسلمون الأوائل عنتا شديدا فى نشر الدعوة ، فعذبوا لتغيير عقيدتهم ، وأكرهوا على ذلك بشتى الوسائل ، وكان الكفار والمكذبون يترصدون لهم فلا يحاولون القول إلا منعوهم منه ، ولا التعبد الا آذوهم به .

خصائص هذه النظرية :

وظاهر مما سبق أن الشريعة حين جاءت بنظرية الحرية لم تكن تجارى تطور الجماعة أو تلبى رغباتها ، لأن العالم كله فى ذلك الوقت لم يكن مهيئا لنظرية الحرية ، وانما قررت الشريعة هـذه النظرية لترفع بهـا مستوى الجماعة ، وتدفعهم نحو التقدم والرقى ، وتسمو بهم عن الموطن الذى نزلت بهم فيه همجيتهم وأرضاهم به جهلهم — كذلك كان تقرير النظرية لازما لتكميل الشريعة بما تستلزمه الشريعة الكاملة الدائمة .

وقد جاءت النصوص المقررة للحرية والمبينة لحدودها نصوصا عامة مرنة بحيث لا يمكن أن تحتاج الى تعديل أو تبديل . وهذا يتفق مع الأساس الذى قامت عليه الشريعة وهو عدم قابليتها للتعديل والتبديل ، ولاشك أن النصوص من العموم والمرونة بحيث لا يمكن أن تضيق بأى حالة مهما تغيرت الظروف والأمكنة وطال الزمن .

ولقـد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية فى تقرير نظرية الحرية بأحد عشر قرنا على الأقل لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية الا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . أما قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحرية بل كانت أقسى العقوبات تخصص للمفكرين ودعاة الإصلاح ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التى يدين بها أولو الأمر .

هذا هو الواقع ، وهذه حقائق التاريخ ، فمن شاء بعـد ذلك أن يعرف كيف نشأت (الأكذوبة الكبرى) التى تقول إن الأوربيين هم أول من دعا للحرية فليعلم أنها نشأت من الجهل بالشريعة الإسلامية ، واضطغان الأحنة والحقد لها ، وقد يعذر الجاهل اذا صفا قلبه ، ولكن ماعذر من يجهل هذه الحقائق الرائعة من المسلمين والعرب ؟ !

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنـا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؟

محمد محيى الدين المسيرى

مكتبتنا العربية

لغويات

الفول المدمَّس

أنكر بعض الفضلاء كلمة (المدمس) بالسين ، ويرى أن عربيتها (المدمث) بالثاء ، ليكون من التدميث وهو التليين ، يقال : دمث الشيء إذا لينه . ومنه المثل : دمث لجنبك قبل الليل مضطجعا .

وعندى أن (المدمس) بالسين المهملة صحيح لاغبار عليه . وذلك أن من معانى التدميس فى اللغة إخفاء الشيء ، يقال : دمسه : دفنه وخبأه . وهذا الضرب من الفول يكون فى قدر توضع فى جذوة التنور وتدفن فيها ، فيستوى الفول ويطيب ، فتدميسه دفنه فى الملة . وقد يكون من الديماس ، ومن معانيه الحمام ، وهذا الفول قد يوضع فوق تنور الحمام ، وهو ما يعرف فى عرف أهل القاهرة بالمستوقد . فهذا التخريج أولى أن يذهب إليه لموافقته نطق الناس . ولظهور معنى الاشتقاق فيه والاختصاص ، فما يلاحظ أن معنى التدميث يكون فيما يعرف بالفول النابت ، فأما التدميس فلا يكون فى هذا الضرب من الفول .

وقد جاء ذكر (الفول المدمس) فى كتاب (هز القحوف فى شرح قصيد أبى شادوف للشيخ يوسف بن محمد الشربينى من أدباء القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد ضمنه عادات أهل الريف ومظاهر حياتهم . وذلك حيث يقول فى ص ١٥٣ من طبعة بولاق ، فى هذه القصيد باللغة العامية :

ولا شاقنى الا المدمس وريحتو على من جتو جفنه بنص رغيف

ويقول فى شرحه : (إلا المدمس) مأخوذ من الدمس لكونه يدمس فى النار كما سيأتى . ومصدره دمس يدمس تدميسا ، ويقول فى كلام له بعد : (ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الأدخنة والروائح الكريهة مثل جورة الفرن ونحوها ، والجورة يراد بها الوقود

مكتبتنا العربية

المتقد الملتهب من الحطب وغيره ، وهذا لفظ غير معروف فى العربية ـ فيما أعلم ـ لهذا المعنى ، وقد يكون أصله : الإرة ، وهى موقد النار أو هى النار نفسها ، وقد يعبر عنها بالمِلة . وكأن هذا التحريف إن صح أن الجورة أصلها ماذكر جاء من أن أهل الريف قد ينطقون بالقاف أو الجيم فى مكان الهمزة عند أهل القاهرة كما فى قال وآل ، وقد يقولون لق فى لأ كما هو معروف ، وقد تبع التحريف فى الحرف التحريف فى الشكل ، فهذا شىء عرض ، ولأعد لما كنت فيه .

ويجرّنا الحديث فى الفول المدمس إلى أن الفول يعرف فى بلاد العراق بالباقلى ، وقد كان يتخذ منه طعام يطبخ فى القدور . ومن شواهد هذا ما جاء فى عيون الأخبار ٢ ٢٠١ « أتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فظن أنه من بعض أشراف الكوفة فخلاه . ثم ندم على ألا يكون سأله من هو ، فقال لبعض الشرط : سلوا عن هذا . فقالوا : هو ابن بياع الباقلى » ، وقد جاء هذا الخبر فى العقد الفريد ١/ ٢٩٠ من طبعة بولاق . فهنا قدر فيها فول يعتادها الناس للشراء منه ، وهو فول مطبوخ . ولكن هل هو الفول المدمس ، أو هو ما يشبه ما يعرف بالفول النابت ، أو هو ضرب غير هذا وذاك . والمعروف أن الفول المدمس فى هذا العصر يعرف فى غير مصر بالفول المصرى .

فلان المتوفى رحمه الله

الجارى على الألسنة فى هذا كسر فاء المتوفى . وكثيرا ما يرمى هذا بالخطأ والانحراف عن السداد ، وذلك أن المتوفى هو الله سبحانه ، فهو الذى يتوفى الأنفس ويقبضها ؛ كما قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » . والوجه أن يقال للميت المتوفى بفتح الفاء .

وهذه التخطئة قديمة . فيحكيها الزمخشرى ـ كما سيمر بك فى كلام الشهاب البيضاوى ـ عن أبى الأسود الدؤلى . وجاء فى كتاب « التنبيه على التصحيف » لحمزة الأصبهانى

مكتبتنا العربية

فى خلال كلام : « و إن الشيرجى ـ وكان إماما من أئمة الحنبلية ـ اجتاز بمسجد فيه معزى فخرج عليه منه نحوى بغيض ، فقال الشيرجى : من المتوفى ؟ فقال النحوى : الله . فلببه وقال : زنديق والله . ورفعه إلى صاحب الجسر » والشيرجى هو أبو إسحق ابراهيم بن إسحق ابن يعقوب ، روى عنه الدارقطنى ، وكانت وفاته سنة ٣٣٢ هـ كما فى تاريخ بغداد ، فقد كانت هذه الحادثة فى بغداد ، ويريد بالجسر جسر بغداد الذى يقول فيه الشاعر :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

ويريد بصاحب الجسر صاحب الشرطة فى خطة الجسر . فنرى أن الشيرجى استعمل المتوفى فى الميت وسأل عن عين الميت ، فصرف النحوى الكلمة إلى معناها المعروف فى اللغة وأجابه على وفاق هذا . ولم يعجب هـــذا الشيرجى الفقيه ورأى فى عمل النحوى ما يدعو إلى تأديبه ، وذلك أنه أطلق على الله سبحانه ما يعرف عند الناس للميت ، فكان فيه إيهام لا يليق فى جانب ذى العزة والجبروت ، وقد كان هذا النحوى من جهة أخرى بغيضا اذ نحا نحو التقعر والخروج عن مألوف الناس فى محادثاتهم ومحاوراتهم ، ولولا هذ لأجاب الشيرجى بما عرف عندهم من إطلاق المتوفى على الميت . ومما يذكر فى هذا المقام أن الفراء لحن أمام المأمون فقيل له فى ذلك فقال : إنا اذا تكلمنا مع الناس جرينا على سليقتنا ومتعارفنا واذا تكلمنا فى مجالس علمنا وافقنا الإعراب أو كلاما هذا معناه ، فاستحسن المأمون منه ذلك . ومما ورد فى هـذا الخبر كلمة المعزى ، ينطق الناس بها فى عصرنا معزى على مفعل من الثلاثى . والوارد عزى بالتضعيف ، فاسم المكان منه معزى . على أنه يقال من الثلاثى : عزى أى صبر ، فيصح أن يكون المعزى منه فهو مكان الصبر والسلوان بما يكون فيه من التعزية والتسلية والتأسى .

و بعد هـذا أذكر أن استعمال المتوفى فى الميت صحيح فى العربية ؛ إذ أنه يقال : توفى الميت أى استوفى أيامه وأجله . وقد جاء قوله تعالى فى الآية ٢٣٤ من سورة البقرة : « والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » فقرأ الجمهور : يتوفون بضم الياء على البناء للمفعول . وذكر ابن جنى فى المحتسب أن عليا رضى الله عنه قرأ بفتح الياء وقد نقل هـذه القراءة عن على أبو عبد الرحمن السلمى . ووجه ابن جنى هذه القراءة بأن الكلام على حذف المفعول أى يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم ، ويذكر ابن جنى لتسويغ هذا أن حذف المفعول كثير فى القرآن وفصيح الكلام

مكتبتنا العربية

وفى البيضاوى : « وقرئ : يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم » فكتب الشهاب عليه : « وهى قراءة على رضى الله عنه ، ورويت عن عاصم . ومعناها : يتوفون آجالهم أى يستوفون أعمارهم ، فعلى هذا يقال للميت متوف بمعنى مستوف لحياته . قال الزمخشرى : والذى يحكى أن أبا الأسود الدؤلى كان يمشى خلف جنازة ، فقال له رجل : من المتوفى بكسر الفاء ؟ فقال : الله تعالى ـ وكان هذا من الأسباب الباعثة لعلى كرم الله وجهه على أن أمر أن يضع كتابا فى النحو ـ تناقضه هذه القراءة ، وأجيب عنه ـ كما ذكره السكاكى ـ بأن سبب التخطئة أن السائل كان ممن لم يعرف وجه صحته ، فلم يصلح للخطاب » . وترى أن جواب الشهاب غير سديد ، فأن أبا الأسود إذا كان يعتقد صحة المتوفى للميت عربية فما كان له أن ينكر على من استعملها فى هذا المعنى وقد عرف الناس فى عصره . وليس الموطن موطن درس للاشتقاق و بيان وجهه . والذى يبدو أن أبا الأسود لم تبلغه قراءة على هذه و إن كان من شيعته وأخصائه ، وذلك أن رواية الفتح عن على وعن غيره تدخل فى قراءة الشواذ ، والمروى عن على فى المتواتر ضم الياء كالجمهور . وذلك أن قراءة حفص عن عاصم هى قراءة على رضى الله عنه الثابتة بطريق التواتر ، وهى بضم الياء كما هو معروف والرواية عن عاصم صاحبها المفضل الضبى ، وهو مع ثقته فى الشعر لا يعتد القراء بروايته فى القراءة ، وأيا ما كان الأمر فالقراءة الشاذة يحتج بها فى اللغة والأحكام .

الملاك ـ الملك

يستعمل الناس الملاك فى الملك ، وقد كان بعض الباحثين يرى أن هذا تخفيف للملأك وهو أصل الملك فى بعض الأوجه ، وقد ورد هذا فى قول الشاعر :

فلست لإنسى ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

وهذا الوجه منقود من ناحيتين : الأولى أن الشاعر شذ فى هذا اللفظ ولم يتابع عليه ، والثانية أن تخفيف ملأك ملك ، كما يقال فى تخفيف المسألة المسلة . وفى تخفيف المرأة المرة ، فهذا هو القياس فى تخفيف مثله ، وقد ورد المراة والكماة فى المرأة والكمأة ، ولكن هذا ورد على سبيل الشذوذ ، ويقول سيبويه فى الكتاب ٢ / ١٦٥ : « ومثله قولك فى المرأة : المرة ، وفى الكمأة : الكمة ، وقد قالوا : الكماة والمراة ، ومثله قليل » وحمل النحويون القلة على الشذوذ ، على أنه لا بأس من تخريج الملاك عليه ، و إن كان المرضى العدول الى اللغة المعروفة : الملك .

مكتبتنا العربية

وهذه الصيغة قديمة فى لغـــة القبط ، ففى آخر خطط المقريزى : « و بمصر كنيسة غبريال الملاك بخط قصر الشمع ... وكنيسة الملاك ميخائيل بجوار بربارة بمصر » .

العمولة و العملة

تستعمل العمولة فى الأجر يأخذه العامل فى بعض المواطن . فيقال عمولة السمسار كذا . وعربية هذه الكلمة العمالة بضم العين وحكى كسرها وهى أجر العمـل ، ويبدو أن إبدال الألف واوا جاء من تفخيم الألف كما ينطق الصلاة والزكاة فى بعض اللغات وقرئ بهـا ، والتفخيم قد يميل بالألف نحو الواو .

والعملة تستعمل فى النقد من المـال ، وأصلها أجرة العمل ، وأغلب ما تكون الأجرة من النقد ، فأطلق هذا اللفظ على النقد لذلك . ٤

محمد على النجار

الأخلاق

بين الحجاج وعمران بن حطان

لمـا ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة !

فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك ياحجاج ، كيف أمنت أن أجيبك بمثل مالقيتنى به ؟ أبعد الموت منزلة أصانعك عليها !

فأطرق الحجاج استحياء من كلمته ، ثم قال : خلوا عنه !

فخرج عمران بن حطان الى أصحابه ، فقالوا له :

والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع الى حربه معنا .

فقا : هيهات ، غل يدا مطلقها ، وأسر رقبة معتقها . وأنشد :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقـر بأنهـا مولاته

إنى إذن لأخو الدناءة والذى ... عفت على عرفانه جهلاته

أأقول جار على ؟ إنى فيـكم ... لأحق من جارت عليه ولاته

مكتبتنا العربية

حلاوة الإيمان

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . رواه البخارى .

المعنى :

حلاوة الإيمان هى ماتجده القلوب السليمة، والعقول الصحيحة ، والصدور النقية، باعتقاد الإيمان والعمل به : من البشاشة والابتهاج ، والطمأنينة والارتياح ، والسرور والانشراح ، وقد شبه ذلك الأمر المعنوى بأمر حسى هو هذه الحلاوة التى يجدها ذائق المطعومات أو المشروبات الحلوة ، تقريبا للمعنى ، وتقريرا للغرض ، وتحقيقا المراد ، فأن لذات العقول أعلى وأكمل ، ووجدانات القلوب أطيب وأجمل . وسيتبين لك كيف تمحو هذه الحلاوة مالا حدّ لمرارته من الألم والعذاب .

وقد بين الحديث أن هذه الحلاوة ثمرة لأمور ثلاثة : أولها حب الله ورسوله ، وثانيها حب المرء أخاه المؤمن حبا لا يبتغى به الا وجه الله . وقد حدّه بعض العلماء بأنه مالا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء ، وثالثها أن يكره العود أى المصير الى الكفر كما يكره أن يقذف ويرمى به فى النار ؛ ولعمرى إن هذا لميسر لمن ييسره الله عليه من أهل الصدق والإخلاص واليقين ، فقد كره أصحاب الأخدود أن يعودوا الى الكفر أكثر مما كرهوا أن يقذفوا فى النار ، ونظيرهم فى الحفاظ على دينهم واستطابتهم دونه الهلاك سحرة فرعون اذ صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . وهكذا كان سلفنا رضى الله عنهم فقد امتحنوا فى كل شيء من نفس وأهل ومال كآل ياسر وبلال وخبيب وسائر المهاجرين الذين لقوا من جبابرة مكة ما آتاهم الله به حلاوة الإيمان ثم أدخلهم به جنات النعيم ، وها هوذا خبيب رضى الله عنه يقول ـ حين أخذته قريش ليصلب فسأله أبو سفيان أتحب أنك مكان محمد حيث هو الآن وأنه مكانك ـ : والله ما أحب أن أكون مكانه وأنه تصيبه شوكة ، فيقول أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا حتى اذا ما رفع على الخشبة قال :

مكتبتنا العربية

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع (١)

ويرى القاضى البيضاوى ، وتابعه العلماء : أن المراد بحب الله ورسوله هو الحب العقلى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس ، وضرب لذلك مثلا بالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، وقال : فاذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل ، أو خلاص آجل ، والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا ، إذ الالتذاذ العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك ، وهذا لا يمنعنا من أن نعتقد أن لله عبادا يحبونه محبة قلبية لا تعلق لها الا بذاته تعالى من حيث هو أهل للمحبة ، والحديث فى ذلك مما لا يستطاع على وجهه لكل أحد ، ولا من كل أحد ، « والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » ، وشاهد الحديث من القرآن الكريم قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ـ الى قوله ـ أحب إليكم من الله ورسوله ـ ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله : فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

هذا وإنى لا أكاد ـ وايم الحق ـ أجد سببا لهذه المرارة المتغلغلة فى حياة المسلمين الا نضوب هذه المنابع الثلاثة التى كانت تفيض بحلاوتها على قلوب المؤمنين الأولين ، ولما كان الأصل فيها هو محبة الله حبا كما وصف فى قوله « والذين آمنوا أشد حبا لله » وكانت محبة الرسول والمؤمنين تبعا لها ، وكراهة العود الى الكفر من مقتضياتها ، فقد انصرف هم الشيطان ووكده ، ووسوسته وكيده الى محوها والعياذ بالله من القلوب ، وذلك بجعلها تبعا لأحوال العيش وحاجات النفس ، مما هو عرضة للتغير والزوال والفناء والاضمحلال « ومن الناس من يعبد الله على حرف فأن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » .

وإنى لأتساءل : كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد بدأنا بفضله بلا عمل سلف ، ولا سعى سبق ، ولا نية نوينا ، ولا خطرة من خطرات الخير خطرت بنا ، أو بالأحرى بطينتنا وترابنا ، بل بدأنا بأحسانه الأعظم ، وكرمه الأكرم ، وجوده الأتم الأكمل ، فخلقنا

(١) الشلو : العضو ، والممزع : الممزق ويريد به نفسه .

مكتبتنا العربية

فى أحسن تقويم ، وأنزلنا ذرية فى ظهر آدم فى الجنة دار النعيم ، وعلمنا كذلك الأسماء كلها ، وفطرنا على معرفة الخير من الشر والفجور من التقوى ، ثم أمر بالسجود لآدم أبينا أطهر خلقه ، ، وأصفى عباده : أهل الذكر والتسبيح ، والطهر والتقديس ، ملائكته المكرمين ، وعباده الصادقين المخلصين ؛ ثم استخلفنا فى أرضه ، وفضلنا على كثير من خلقه ، وسخر لنا ما فى السموات والأرض جميعا منه ؛ أفبعد ذلك يجدر بمن يزعم لنفسه عقلا أو رأيا أو حكمة أو خلقا أن يكون كما وصف الله « خلق الإنسان من نطفة فأذا هو خصيم مبين » أو أن يبدل نعمة الله كفرا ، وما ينبغى له من الوفاء نكثا وغدرا ؟ ! أفبعد ذلك يليق بهذه الإنسانية عامة أن تكون كما ورد فى الحديث : شرها الى الله صاعد وخيره اليها نازل ، أوأن يغلب فجورها على تقواها ، و برها على شكرها «وقليل من عبادى الشكور » ؛ أو أن تتخذ من بدأها بالعداوة والبغضاء وليا من دون الله الذى بدأها بالبر والنعماء ، والكرامة والاصطفاء « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » ؟ !

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد تداركنا بعد فساد الفطرة وتحريف الدين ، بما أنزل من الكتب ، وما أرسل من النبيين ، ليذكر غافلا ، ويهدى ضالا حائرا ، ويحيى قلبا ميتا ، ثم أتبع ذلك بما يلقيه فى القلوب من هدى يخرج من الظلمات الى النور ، وما يجعل لها من وازع عن الآثام والشرور ، الى ما يبتلى الناس به من الخير والشر لعلهم يرجعون ، أو يتضرعون « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وفى حبه السعادة الروحية التى لو ذاق حلاوتها هؤلاء المترفون الذين يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ، لجالدوا عليها أهلها بالسيوف ، فكانت هى ـ لامتاع الدنيا ـ موضع المنافسة وموضوع الخصام ، لو أنها تحتمل الخصام ، فبهذه السعادة يذهب عن المرء ما يجد فى دنياه من الأوصاب والآلام ، ويزول ما يلم به من الأكدار والأحزان ، لأن هذه المحبة كالماء الذى يغسل الأدران ، ويطهر من رجز الشيطان ويطفى لواعج النيران .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وهو الغنى عنا إلا أنه يدعونا ويتودد إلينا ، ولا يقطع

مكتبتنا العربية

عن نعمه طرفة عين ولا ما دونها . ولو قطعها لانقطعت الأنفاس المترددة ، وانطمست العيون المبصرة ، وانسدت الآذان السميعة ، ولما استطاع قلب أن يخفق ، ولا عرق أن ينبض ، ولا حى أن يعيش . ونحن الفقراء اليه فى كل لحظة وحين ، وان كنا ملوكا مسلطين ، أو حكاما متمكنين ، فأن ذلك والله لا يغنى من أمر الله شيئا ، ولا يدفع من قضائه أمرا ولا حكما . فبيده وحده الخير وهو على كل شئ قدير .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد استودعناه آباءنا وأبناءنا ، وانا لموشكون أن نستودعه أنفسنا ودينا وخواتيم أعمالنا ، حيث يتعهدنا حين ينقطع المتعهدون ، ويصل من حبالنا ما قطعه الواصلون . ويعلم وحده ما تنقص الأرض منا وعنده كتاب حفيظ ، وهو المسئول وحده أن يجمعنا بمن فرط من أحبابنا وفلذات أكبادنا فى دار رحمته ، ومنزل كرامته . حيث نشفى بالأنس وحشات الفراق ، ونلأم بالود آثار الجراح ، ونستقبل معهم وبهم الحياة الأبدية التى تروى كل غلة ، وتشفى كل علة ، وتؤمن من كل فزع ، وتطمئن من كل هلع . وإنى لأتساءل متعجبا كيف لايسعى الإنسان الى لقاء أهله الصالحين فى دار الكرامة والسلامة . فأن لم يكونوا صالحين فلن ينفعه أن يجتمع بهم فى الجحيم حيث يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون » . « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، وقد كتب على نفسه الرحمة ليجمعنا الى يوم القيامة ، وجعله وعدا عليه حقا حيث يجمع ما تفرق من رفاتنا ، ويصل ما انقطع من أوصالنا وأشلائنا ، ويمسح بيد رحمته ما صنع الموت بأجسادنا ، ويؤمننا بلقائه من أن نذوق الموت بعد الموتة الأولى . ويرينا من آيات قدرته وعدله واحسانه وفضله أنه هو القادر على أن يحيي الموتى ، وأن له الحمد فى الآخرة والأولى ، وأنه لن يدع الإنسان لظلمات النسيان ، ولن يقيم المؤمن بدار هوان « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » « ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » .

كيف لا نكون أشد حبا لله ، ولن نجد عن حبه عوضا ولا بدلا ، ولن نجد من دونه موئلا ولا وزرا ، ولن ننال من سواه عونا ولا مددا ، ثم لا مفر لنا منه إلا إليه ، فاليه

مكتبتنا العربية

المرجع والمصير « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان » . « والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » .

كيف لانكون أشد حبا لله ، وقد ندبنا الى لقائه وهو الملك الأعلى خفافا من أوزار الحياة وآثامها ، منزهين عن دناياها وأوضارها ، ليرد الينا بسابق رحمته ماسلبنا بغضبه ، ويعوضنا من شقاء دنيانا بسعادة جنته . وإنى لأسائل هؤلاء المعرضين عن الله الكريم لم تعرضون ؟ أتشكون فى جوده واحسانه والناس جميعا يتقلبون فى نعمته مؤمنهم وكافرهم بزهم وفاجرهم ؟ ! أم تشكون فى كتبه ورسله ، وقد أتوا بالمعجزات الباهرة التى خضعت لها رقاب الجبابرة ، ولانت بها القلوب القاسية ، وآمن بها الكافرون ، وتعلم بها الجاهلون ، ومنها استمدت الحضارات الإنسانية ، وظهرت أنبل المبادئ والمقاصد البشرية ؟ ! أم تشكون فى وعده لعباده أن يعيدهم كما بدأهم . وهو كل يوم يرينا من آيات خلقه فى الإنسان والحيوان والجماد والنبات ما لاريب فيه لمريب ، ولا مجال فيه لتكذيب « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » . أم يحسبون أن عدله يتسع لترك الظالم بظلمه وبغيه ، والمظلوم بمظلمته وشجوه ، فيبطل بذلك حكمته فى خلقه ، وإنزاله لآياته وإرساله لرسله ، ويجعل للفساد دولة فى ملكه ، ومستقرا فى أرضه ؟ ! وكيف يصح ذلك ، وقد أقام الله السموات والأرض على القوانين العادلة والنظم الكاملة ولو أوتى شئ منها أن يبغى على شئ لزالت السموات والأرض ومن فيهن ولكن الله « يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا » وإنما أطلق الله من أعنة اختيارنا ولم يكرهنا على ما هو الأولى بنا لأننا أضعف من أن يزول شئ من السموات والأرض بنا ، ولأن لنا معشر المكلفين معادا ليس كمثله لغيرنا ، وقديما رأى أهل الألباب أن فيما أوتى الظالمون من المهلة دليلا على أن للحساب يوما ، وللقصاص موعدا ، وصدقهم الله سبحانه إذ يقول « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون » وإذ يقول « أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون » أم يشكون فى وجود الخالق ويؤمنون بوجود المخلوق ، فيجعلون الفعل للطبيعة دون من طبعها ، ويغفلون عمن أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، وإنى لأسائلهم

مكتبتنا العربية

وقد أغرقوا فى الضلال . وأسرفوا فى الخيال : من الذى أنشأ أول موجود فى الطبيعة ثم نقله فى أطواره ، وأى شىء فيها هو الذى خلق هذا الإنسان الذى لا يرى فى الطبيعة مايشبهه فى علمه وإدراكه وعقله واختياره ، وتسخيره كل شىء لمآربه وأغراضه ، وهل يقع فى عقل أن يخلق مالا يسمع ولا يبصر ، ولا يعلم ولا يعقل ، ولا يختار ولا يقدر . مثل هذا الإنسان العاقل المختار السميع البصير الكاتب الناطق العالم الحاسب الذى فيه من آيات العلم والخبرة ووجوه التصرف والحيلة ما ينبىء عن منزلته التى جعلها الله له إذ استخلفه فى أرضه ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه وإذ جعله فوق كل شىء فى هذه الطبيعة ، وجعل كل شىء فيها دونه . فسبحان الله كيف يفتتن بها قوم من دون الله إلى أن يجعلوها مبدأ الإنسان ومنتهاه ، ولكن لا عجب فالله سبحانه وتعالى يقول « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » . فاللهم حبب إلينا الإيمان بك ، والإقبال عليك ، وارزقنا الرجاء لرحمتك ، والخشية من عذابك ، والتوقير لدينك ، والمعرفة بحقوقك ، والشوق إلى لقائك ، والحنين إلى جنتك ، والاستجابة لدعوتك ، والمحبة لنبيك والمؤمنين بك ابتغاء وجهك . واجعل حبك وحب نبيك فى قلوبنا فوق كل شىء ؛ وبغّض إلينا الكفر والفسوق والعصيان كما تبغض إلينا العذاب بالنار أو أشد ؛ وأذقنا بذلك حلاوة الإيمان وبشاشته ، واخلطها بقلوبنا وأرواحنا ، وامزجها بلحومنا ودمائنا ، فإنك أنت الوهاب الكريم والمنعم العظيم ؟

محمود فرج العقدة
مدرس بكلية اللغة العربية

ضلال الظواهر

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن ... ولم يروك بفكر صادق الخبر
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته ... والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

أبو العلاء المعرى

مكتبتنا العربية

التشاؤم مرض

يعنى الناس كل العناية بالأمراض البدنية ، فيلجأون إلى الأطباء ، أو إلى الدجالين والمشعوذين ويتناولون الأدوية التى يوصى بها الطبيب ، أو يستعملون العقاقير البلدية ، ومنهم من يلجأ إلى الرقى والتمائم ، وأياما كان فقلّ من الناس من يستكين للمرض ، ويركن إليه ، ولكننا لا نرى الناس يعطون أهمية للأمراض النفسية ، مع أننا لا نجد فرقا بينهما فى النتائج وربما كان المرض النفسى أخطر عاقبة ، وأبعد أثرا ، وهل هناك فارق يذكر بين رجل ابتلى بحمى فازعج لها ، وخاف عاقبتها ، وقلق على نفسه ومستقبله ، ورجل ابتلاه الله بالتشاؤم فهو فى قلق دائم وخوف مستمر ، ذاك فقد لذة الحياة وهدوءها ، وهذا أيضا . . . . . .

فترى المتشائم يضطرب لمنظر رآه لا يوافقه ، أو يقلق لكلمة يسمعها تنذره - فى زعمه - بشر مستطير ، وهو لا يني ينظر ويسمع ، فهو لا ينقطع عن الاضطراب والقلق ، وبذلك يظل فى كدر وحزن وهم ، وربما ناله من الأمراض البدنية - بسبب ذلك - ما لا قبل له به ، وقد يعتزم أن يقوم بأمر خطير يعود عليه أو على أمته بالخير واليمن ، ولكن يصادفه فى أول الطريق نذير مبهم ، فتفتر همته ، وتضعف إرادته ، ويخلد إلى الأوهام .

والتشاؤم عاطفة قديمة ، شاعت فى كثير من الأمم القديمة ، ولكنها لا تزال - أيضا - تحتل مكانها فى الأمم الحديثة ، وقل أن تخلو منها أمة من الأمم أو فرد من الأفراد ، وعلى الرغم من تقدم الدراسات العلمية والنفسية ، وعلى الرغم من أن الناس قضوا مع الإسلام نحو أربعة عشر قرنا ، لا يزالون بعيدين عن النظر الصحيح ، والمنطق السليم فى هذا الأمر .

تشاءم العرب من بعض الحيوانات ، فتشاءموا من البوم والغربان ، والثور المكسور القرن ، كما تشاءموا من بعض الكلمات التى تدل على معان غير مرضية ، بل ربما بلغ إحساس المتشائمين منهم أن يتطيروا من كلمات خفيفة على السمع ، لطيفة فى المعنى ، فريح الصبا من أطيب الأرواح عند العرب وألطفها ، وقد أفاضوا القول فى امتداحها ، والتغنى بها ، والحنين إليها حين يغادرون أوطانهم ، ولكن ذلك لم يمنع بعض المتشائمين أن يعتبر لفظها

مكتبتنا العربية

نذيرا بفراق الأحبة ، وبدوام الصبابة ، وقل مثل ذلك فى البان والغصن ، فالبان بين ، والغصن غصص . . . وهكذا .

وفى كل عصر ، وفى كل أمة ، يوجد أصحاب المدارك السليمة ، والنفوس المستبشرة ، وجد هؤلاء قديما وحديثا ، فرأينا من يأخذ من الألفاظ ما يريح به نفسه ، فالحمام بشير بأن لقاء محبوبته قد حم وقدر له ، فى حين يجعله شاعر آخر حماما وموتا ، والطلح بشير بأن المطى ستصل إليها وهى طليح ، والبان بيان بالنجاح والدم يعطى معنى دوام الود :

وقالوا حمامات فحم لقاؤها وطلح ، فزيرت والمطى طليح
وقال صحابى هدهد فوق بانة هدى وبيان بالنجاح يلوح
وقالوا دم ، دامت مواثيق بيننا ودام لنا حلو الصفاء صريح

ورأينا من الشعراء من ينكر فى سخرية لاذعة . أن يكون غراب البين سببا فى تفريق الأحبة ، ويجعل الذنب كله للإبل التى حملتهم ، وسافرت بهم ، أما الغراب فما أهون شأنه .

ما فرق الأحباب بعد الله إلا الابل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غترا ب البين تطوى الرحل
ولا إذا صاح غرا ب فى الديار احتملوا
وما غراب البين إلا ناقة أو جمل

وحين جاء الإسلام هاجم بقوة هذا المرض النفسى : فسماه (شركا) ونفاه فى غير غموض ولا التواء ، ولكن النفوس التى لا تستمع إلى صوت العقل لا تستمع إلى صوت الدين ، وقد كان أبسط الأمور أن يدرك المتشائمون أن العلم لا يؤخذ إلا من العلماء ، فكيف يؤخذ علم الغيب عن طير يصيح ، أو عن يوم من الأيام ، أو شهر من الشهور ؟ وأى معنى علمى أو خيالى يأخذه الناس من يوم الأحد ، أو من أربعاء لا تدور - كما كان يقول الأوائل - أو من شهر صفر ، أو مما أشبه ذلك ؟ لا شىء إلا الانسياق وراء الوهم !

أما علاج التشاؤم ، فقد سبق الإسلام فوضع أساسا سليما متينا ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تطيرت فلا ترجع » . « وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

« من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك » . فالعلاج فى نظر الإسلام يتلخص فى أمرين :

(الأول) قوة الإرادة ، والإصرار على المضى إلى الغاية المنشودة ، ومتى عود الإنسان نفسه المضى بالرغم مما يلاحظه من التطير ، نمى إرادته ، وهذا - بنفسه - هو ما يدعو إليه علماء النفس المحدثون . فليس أمام الإنسان من سبيل إذا أراد أن يتخلص من عادة سيئة أو من بعض العواطف الضارة ، إلا الإرادة الحازمة الصارمة التى لا تعرف التقهقر .

(الثانى) سلامة العقيدة ، وتخليصها من الشوائب ، فلو أدرك الإنسان بحق أنه لا خير إلا من الله ، ولا شيء إلا ما أراده ، وأنه لا يعلم الغيب غيره ، لرأى أن هذه الأمور التى يرتكبها من يتشاءم ، هى حماقات وتوافه .

قوة الإرادة وسلامة العقيدة هما المنجيان من كل ما يخضع له الإنسان من مخزيات ، ولن تجد متشائما إلا وهو يحمل قلبا عليه سحب كثيفة من الاعتماد على غير الله .

ولنتأمل كيف استطاع أحد كبار الرياضيين أن يتخلص من الخوف بقوة إرادته ، وبرجوعه إلى المنطق السليم ، يقول : « لقد كان الخوف ينتابنى قبل موعد المباريات الكبيرة بأيام ، فأقضى شطراً كبيراً من الليل ساهرا ، تساورنى الأفكار السود ، ولكننى كنت لا ألبث أن أغادر فراشى ، وأتوجه إلى المرآة بعد أن أوقد مصباح الغرفة ، وأقول لنفسى منفعلا : كم أنت غبى ؟ ! كيف تقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبداً ؟ إن الحياة قصيرة ، وعلىّ أن أستمتع بكل لحظة فيها ، إننى الآن بخير ، وإذن فلأنعم بالوقت الحاضر ، وليس لى شأن بما يحدث بعد ذلك » .

وهذا ما نريد من كل متشائم أن يقوله : كيف يقلق لشيء لم يحدث بعد ، وربما لا يحدث أبدا ، وكيف يستسيغ عقله أن يصدق ما لا يقوم دليل على صدقه ؟ وما دام هو الآن بخير فلماذا يعذب نفسه بالخوف من مستقبل استأثر الله بعلمه ، وإذا كان لنا أن نضيف شيئا ، فهذا الذى يقوله الشاعر العربى :

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ... إلا كواذب عما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أقفال

على العمارى

مكتبتنا العربية

هل للمرأة حقوق سياسية ؟

سؤال قبل أن نجيب عنه نرجو أن تطمئن المرأة إلى أننا لسنا من أعدائها ، ولا ممن يجهلون خطر رسالتها ، فهى بنتنا أو أختنا وكانت قبل ذلك أما لنا ، فإذا وقفنا منها موقف المعارضة ، فذلك لتكريم شأنها ، والإشفاق عليها مما تجره الدعاوى البراقة من ويلات وآلام .

للمرأة رسالة ولها هدف وغاية وقد بينها الإسلام فى قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » فقد جمعت هذه الآية رسالة المرأة فى : —

١ — السكون النفسى والجنسى والاطمئنان القلبى .

٢ — المودة التى يظهر أثرها فى المصاهرات والأسر .

٣ — الرحمة التى تبدو فى الأمومة وما ينجب الزوجان من ذرية .

فهل المرأة رسالة أعظم من تلك الرسالة التى لو أديت على وجهها الصحيح لما وجدت المرأة متسعاً من الوقت وفراغا من الزمن ! . ليس فى استطاعة المرأة أن تصبح رجلا ، وقد قسمت الطبيعة المخلوقات إلى ذكر وأنثى . وحددت لكل نوع مكانه فى المجتمع واتجاهه فى الحياة ورسالته التى يجاهد فى سبيلها . وليس من شك فى أن رسالة المرأة الأولى مملكتها المنزلية ، تربى أطفالها ، وتهيىء عرشها ، وتنظم أسباب سعادتها . وإن الحماية الجسمية للرجل لن تنتقل إلى المرأة مهما سعت إليها . فلم تترجل فى سلوكها وتطلب مالا يتفق وطبيعتها ؟ إن هذه المشكلة قديمة ، وقد عالجها الإسلام بما لا يدع مجالا للشك عند المنصفين . جاء فى كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلانى أن أم كبشة القضاعية قالت : يا رسول الله ، ائذن لى أن أخرج فى جيش كذا ، قال ﷺ : لا ، فقالت : لا أريد أن أقاتل ، وإنما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى وأسقى الماء ، فقال ﷺ : لولا أن تكون سنة ويقال :

مكتبتنا العربية

فلانة خرجت لأذنت لك ، ولكن اجلسى لا يتحدث الناس أن محمداً يغزو بامرأة !! والإسلام الذى فرض الحجاب فى السنة الخامسة من الهجرة كان من آثاره منع المرأة من الجهاد والأعمال السياسية والتشريعية . يؤيد ذلك ما ورد من أن أبا سفيان بن حرب أتى السيدة فاطمة قبيل فتح مكة فقال لها : هل لك أن تأمرى ولدك هذا فيجير بين الناس ويكون سيد العرب ؟ فقالت : إنما أنا امرأة ، وذلك لرسول الله ﷺ . « إنما أنا امرأة » ليس من حقها أن تقتحم ميدان السياسة لأنها لا تتفق مع طبيعة رسالتها ، ولا تتلاءم مع واجب أمومتها .

ورسالة المرأة تظهر جلية فى حديث أسماء بنت يزيد حين قدمت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام نائبة عن زميلاتها فقالت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومحامل أولادكم ، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم ، أنشاركم فى هذا الأجر ، فاتجه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أصحابه وقال : « هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها ؟ فقالوا يارسول الله : ماظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك » فذهبت أسماء إلى قريناتها وذكرت لهن ما حدثها به الرسول عليه الصلاة والسلام ، فسررن به والتزمن نهجه ، فاشتراك المرأة فى الحياة السياسية ومطالبتها بالتمثيل النيابى ينأى عن الإسلام وتعاليمه ، ولا يتفق مع الدين ومناهجه .

١ — لأنه يجعل التشريعات خاضعة للعاطفة ومنطق الجمال ، فتصبح القوانين متأثرة بالأهواء ، ممزوجة بالسحر والإغراء ، فالمرأة لها سلاح بتار لا ينجو منه إلا من رحمه الله قولى الأدبار . ولقد تنبه إلى خطر تأثيرها الشعراء منذ العصور الأولى ، وسأذكر لكم شاهدين على ما أقول : أما الشاهد الأول فهو يعجب من تأثير المرأة مع ضعفها وجاذبيتها مع قلة جهودها فيقول :

مكتبتنا العربية

إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

أما الشاهد الثانى فهو لشاعر يفخر بشدته فى الحروب واستسلامه للمرأة فى السلم وتبعيته ، فيقول :

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل على أننا نذيب الحديدا
وترانا يوم الكريهة أبطا لا وفى السلم للغوانى عبيدا

٢ — لأن البرلمان هيئة تشريعية وولاية عامة ، والمرأة ليس فى طبيعتها قدرة الولاية على الرجل ، قال تعالى : « الرجال قوامون على النساء » ، وقد حذر الرسول ﷺ من ولايتها كما روى الترمذى فى سننه (إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير من ظهرها) . وفى الجامع الصحيح للبخارى (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) .

٣ — لأنه يجعل المرأة بعيدة عن بيتها تنتقل فى كل واد وتجوب فى كل طريق لتعرف الآلام والآمال ، وذلك يعارض قوله تعالى « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » . فلتذكر المرأة المسلمة أى تشريف لها فى نسبة البيت إليها وجعله خاصا بها . ومن المؤلم أن بعض المربيات تزعم أن هذا الخطاب للنساء العابثات ! ، مع أنه لأمهات المؤمنين الصالحات الطاهرات ، وذلك يدل على الجهل ومبلغ الجرأة على الله ونساء رسوله والاعتداء على حرمات الدين وكتابه .

٤ — الإسلام خص الرجل بأشياء تتفق مع طبيعته وتسكوينه ، منها الإمامة والرسالة والجهاد والأذان والخطبة والنكاح والطلاق وثبوت النسب والمهر والنفقة ، والبرلمان نوع من تبعات الإمامة .

٥ — لم يثبت فى تاريخ المسلمين أن امرأة وليت القضاء ، والبرلمان نوع من القضاء . وإنا لنرى الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل قال تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » ، فإذا كانت الشهادة وهى أقل خطورة من البرلمان لا تتساوى

فيها المرأة بالرجل . أليس ذلك دليلا على منعها منه وأنه ليس لها حقوق سياسية حتى تطالب بها ؟ .

٦ — لم يتحدث التاريخ أن النساء فى أى عصر من عصور الإسلام الزاهرة بايعن الخليفة أو الحاكم ، ولا جلسن فى مجالس الشورى والتشريع ، مع أن فيهن من ذوات الحجى والألمعية ما لا عهد للتاريخ بأمثالهن .

ويقول دعاة المساواة إن الإسلام سوى بين المرأة والرجل فى الصلاة والصوم . وهو قول غير سديد لأن المرأة لا تجب عليها الجمعة والجماعة ، وصلاتها فى بيتها أفضل ، ولا تصح إمامتها للرجل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» ، «لا تؤم امرأة رجلا» ، وأوجب عليها الإفطار فى الحيض والنفاس ، وبدهى أن الرجل ليس عليه شىء من ذلك .

ويقولون إن الإسلام أوجب أن يؤخذ رأى المرأة فى زواجها ، والحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، فلم لا تشترك فيها ؟ ومن الهزل أن يزعموا أن الحياة البرلمانية أولى من الحياة الزوجية ، وأعتقد أنه لن يوافق على ما يقولون إلا من يرى أن الأرض فوقنا وأن السماء تحت أرجلنا .

ويقولون : إننا نريد أن يمثل العنصر النسائى فى البرلمان ليدافع عن المشكلات الخاصة بالمرأة كمشكلة الطفولة والطلاق وتعدد الزوجات ، وهذه مشكلات لا تحل فى البرلمان وإنما تحل فى ظلال الدين والقرآن . وإن أرقى البرلمانات فى العالم بها فئة قليلة من النساء ، وهم جميعا يعترفون بأن الرأى للأغلبية فما قيمة هذا التمثيل ؟ أفما كان الأولى بهم أن يدعوا المرأة إلى حسن تربية النشء وتهذيبه ليكون فى المستقبل دعامة من دعائم النهضة ، وبذلك يمثلن فى البرلمان برجال من أبنائهن ذوى خلق كريم ، وعقل مستقيم ، ونظام رتيب .

أما موقعة الجمل التى خرجت فيها السيدة عائشة للتعاون مع على كرم الله وجهه على إقامة الحد فى قتلة عثمان رضى الله عنهم جميعا ، فلم تكن فيها طالبة لولاية ولا قائدة لجيش .

وقد يقولون : إنا نحرم النائبة من الزواج ، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك ، فإن علماء النفس يثبتون أن الفتاة إذا بلغت العشرين اتجهت إلى أن تكون زوجا ، فإذا بلغت الخامسة والعشرين تاقت إلى أن تصبح أما ، فكيف نظلمها فنمنعها حقها الطبيعى فى سبيل هذه المظاهر الخداعة ؟

مكتبتنا العربية

وقد يقولون : لقصر النيابة على المرأة فى الخمسين من عمرها بعد أن تؤدى رسالتها المنزلية وبذلك لا يشغلها عن البرلمان شاغل . والرد على ذلك أن المرأة فى هذه السن تحتاج إلى راحة من عناء العمل والشيخوخة ، فإذا أبحنا لها البرلمان كانت فى ميدان النيابة محتاجة إلى تحارب وأعباء ثقال لا تحتملها ولا تطيق القيام بتبعاتها .

ألا فليذكر دعاة المساواة فى النيابة أى خطر يحدق بالأمة إذا تركت الأم تربية الأبناء فى سبيل مجالس التشريع والقضاء ، وليخبرونا من الذى يشرف على شئون الناشئة ويعدهم لأعباء المستقبل ؟ أندعو الرجل إلى عمل المرأة ولم يخلق له ؟ أم نحمل الأطفال إلى المجالس النيابية فتصبح ملجأ للأطفال وموطنا للحوامل والمرضعات ؟ أم نترك الأولاد للخدم والمربيات فتفسد الأخلاق وتنهار روابط الأسرة والمجتمع كما ترون الآن .

إن مشكلة البيت اليوم أصبحت أدق المشكلات ، وإن الدروس التى يتلقاها الطفل فى حجر أمه سيكون لها أكبر الأثر فى مستقبل حياته ولن تعدو عليها عوامل النسيان والإهمال ، فلا تزيدوا أعباء المرأة وتبعاتها ، واسمعوا نبي الرحمة إذ يقول : « استوصوا بالنساء خيرا » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ولا تكلفوا أمكم وأختكم وبنتكم ما لا تطيق ، وقدروا فيها أمومتها لا أنوثتها ، ورسالتها لا نيابتها . وطبيعتها لا غوايتها ، وملكتها لا تملكها .

اذكروا أن المرأة قبس يضيء ، وزهر يبسم ، وأمل يلهم ، وهدى يشرق ، ما دامت فى عشها ، فحاذروا أن يضيع القبس ، ويذبل الزهر ، ويذوى الأمل ، ويهوى الإشراق . وتأملوا قول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ؟

محمد صابر عاشور
مدرس بمعهد دمنهور

مكتبتنا العربية

جبل ثور بالمدينة

(المدينة حرم ما بين عير إلى ثور) هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٨٥ ـ كتاب الفرائض ٢١ ـ باب إثم من تبرأ من مواليه ، وأخرجه مسلم فى : ١٥ ـ كتاب الحج حديث ٤٦٧ . فهو من الأحاديث المتفق عليها بين الشيخين ، ورواته لا يمكن أن يتطرق الوهن أو الشك إلى روايتهم ، والحديث قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فى المدينة ، وسمعه منه أهل المدينة ، ومنهم الإمام على ابن أبى طالب ، وقد حرص عليه أيما حرص ، فكتبه فى صحيفته المشهورة المعلقة فى قراب سيفه .

ومع كل هذا فقد ظهر بين المتقدمين من يدعى مصعبا الزبيرى ، فألقى بها كلمة طاعنة فى متن الحديث ، حيث قال : ليس فى المدينة عير ولا ثور .

وتبعه أبو عبيد فقال : ما بين عير وثور ، هذه رواية أهل العراق ، وأما أهل المدينة فلا يعرفون جبلا عندهم يقال له ثور ، وإنما ثور بمكة ، وأقول أنا : وجود جبل بمكة اسمه ثور لا ينفى وجود جبل بالمدينة بهذا الاسم .

ولقد روى الإمام البخارى فى صحيحه ، فى : ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ٣٨ سورة ص . ٣ ـ باب وما أنا من المتكلفين : عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن مسعود . قال : يأيها الناس ! من علم شيئا فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فأن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم .

وقد أخذ العلماء قول مصعب وأبى عبيد حجة بدون تمحيص ولا تحقيق :

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ولو قيل : هاتوا حققوا لم يحققوا

ثم تناولوا الحديث بالتخريج والتأويل ، ووقع بسبب هذا القول فى الخطأ الشنيع ثلاثة من كبار المؤلفين :

أولهم أبو عبيد البكرى ، المتوفى عام ٤٨٧ هـ ، فى كتابه معجم ما استعجم .

والثانى ابن الأثير ، المتوفى عام ٦٠٦ هـ ، فى كتابه النهاية فى غريب الحديث والأثر .

مكتبتنا العربية

والثالث ياقوت الحموى ، المتوفى عام ٦٢٦ ، فى كتابه معجم البلدان .

قال فى معجم ما استعجم :

وذكر أبو عبيد (هو القاسم بن سلام ، بتشديد اللام ، كما حرر ذلك ابن خلكان فى الوفيات ، وكما جاء فى نزهة الألبا فى طبقات الأدبا لابن الانبارى ، إذ قال : وقد رثاه عبد الله بن طاهر بقوله :

يا طالب العلم قد أودى ابن سلام وكان فارس علم غير محجام

لا بالتخفيف كما نص عليه صاحب التاج ، وتبعه الاستاذ مصطفى السقا فى تعليقه على هذا الحديث ، وقال : عير وثور جبلان بالمدينة . قال : وهذا حديث أهل العراق . وأهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فيرى أن الحديث إنما أصله « ما بين عير إلى أحد » ! ! !

وقال ابن الاثير : وفيه أنه حرّم المدينة ما بين عير إلى ثور . هما جبلان . أما عير فجبل معروف بالمدينة . وأما ثور فالمعروف أنه بمكة ، وفيه الغار الذى بات به النبى ﷺ لما هاجر . وفى رواية قليلة : ما بين عير وأحد . وأحد بالمدينة ، فيكون ثور غلطاً من الراوى ، وإن كان هو الأشهر فى الرواية والأكثر . وقيل : إن عيراً جبل بمكة ، ويكون المراد أنه حرّم من المدينة قدر ما بين عير وثور فى مكة ، أو حرم المدينة تحريما مثل تحريم ما بين عير وثور بمكة ، على حذف المضاف ، ووصف المصدر بالمحذوف .

وقال ياقوت : وفى حديث المدينة أنه صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين عير إلى ثور . . قال أبو عبيد : أهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له ثور . وإنما ثور بمكة . فيرى أهل الحديث أنه حرم ما بين عير إلى أحد . وقال غيره : إلى بمعنى مع . كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة فى التحريم ، وقد ترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليبين الوهم . وضرب آخرون عليه . وقال بعض الرواة : من عير إلى كدى . وفى رواية ابن سلام : من عير إلى أحد . والاول أشهر وأشد .

ورضى الله سبحانه وتعالى عن أستاذ الدنيا فى علم الحديث : الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث قال فى كتابه ، قاموس السنة المحيط (فتح البارى) فى : ٢٩ ـ كتاب فضائل المدينة ١ ـ باب حرم المدينة ، ما نصه : « وقال المحب الطبرى فى الأحكام : بعد حكاية كلام

مكتبتنا العربية

أبي عبيد ومن تبعه : قد أخبرني الثقة العالم أبو محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد عن يساره ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيراً يقال له : ثور . وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الارض وما فيها من الجبال ، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور . وتواردوا على ذلك .

فعلمنا أن ذكر ثور في الحديث صحيح ، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته ، وعدم بحثهم عنه . قال : وهذه فائدة جليلة . انتهى .

ثم قال الحافظ : وقرأت بخط شيخ شيوخنا الحلبي في شرحه : حكى لنا شيخنا أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصري أنه خرج رسولا إلى العراق . فلما رجع إلى المدينة كان معه دليل ، وكان يذكر له الأماكن والجبال . قال : فلما وصلنا إلى أحد ، إذا بقربه جبل صغير ، فسألته عنه ؟ فقال : هذا يسمى ثوراً . قال : فعلمت صحة الرواية .

(قلت) وكان هذا مبدأ سؤاله عن ذلك .

وذكر شيخنا أبو بكر بن حسين المراغي نزيل المدينة ، في مختصره لأخبار المدينة ، أن خلف أهل المدينة ينقلون عن سلفهم ؛ أن خلف أحد ، من جهة الشمال ، جبلا صغيرا إلى الحمرة بتدوير ، يسمى ثورا . قال : وقد تحققته بالمشاهدة . اهـ . من الفتح .

وقال الفيروز ابادي ، في القاموس المحيط ، الذي هو أكبر كتب اللغة تداولا بين الأيدي : (ثور) جبل بالمدينة . ومنه الحديث الصحيح « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور » .

وأما قول أبي عبيد بن سلام ، وغيره من الأكابر الأعلام : إن هذا تصحيف . والصواب : إلى أحد ، لأن ثورا إنما هو بمكة - فغير جيد . لما أخبرني الشجاع البعلي ، الشيخ الزاهد ، عن الحافظ أبي محمد عبد السلام البصري أن حذاء أحد ، جانحا إلى ورائه ، جبلا صغيرا يقال له : ثور . وتكرر سؤالي عنه طوائف من العرب العارفين بتلك الارض . فكل أخبرني أن اسمه ثور .

ولما كتب إليّ الشيخ عفيف الدين المطري ، عن والده الحافظ الثقة ، قال : إن خلف أحد . عن شماليه ، جبلا صغيراً مدورا يعرفه أهل المدينة ، خلفاً عن سلف .

وقد أيد العلماء المعاصرون ما أورده الحافظ في الفتح والمجد في القاموس ، وأكدوه تمام التأكيد .

مكتبتنا العربية

فقد ذكر العلامة المؤرخ الدكتور محمد حسين هيكل ، فى كتابه « فى منزل الوحى » صـ ٥٨١ عند ذكر الحديث « إنى أحرم ما بين جبليها مثل ماحرم إبراهيم مكة » قال : وجبلا المدينة المقصودان هما عير وأحد . أو عير وثور الواقع وراء أحد ، ليدخل أحد فى الحرم . ولابتا المدينة هما الحرتان واقم والوبرة ، أولاهما فى شرق المدينة والثانية فى غربها ، والجبلان عير فى جنوبها ، وثور فى شمالها . وهذه هى حدود المدينة الأربعة .

ونشر أمام الصفحة ٥١٢ خريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة . وهنا فى رأس الخريطة من جهة الشمال ، وراء جبل أحد ، يقع جبل ثور .

وقد أرشدنى الدكتور هيكل إلى كتاب « آثار المدينة المنورة » لمؤلفه الأستاذ عبد القدوس الانصارى الذى اتصل به منذ نزل المدينة ، وقد ذكر له فضله وشكره أجمل شكر على إرشاده ومعاونته صـ ٤٤٠ .

وهذا الكتاب مطبوع عام ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٥ م وقد نشر به الخريطة الأثرية التقريبية المدينة المنورة ، وهى خريطة مطابقة تمام المطابقة للخريطة المنشورة فى كتاب « فى منزل الوحى » وكأن إحداهما صورة من الأخرى . وقد قال صاحب هذا الكتاب صـ ١٣٩ تحت عنوان :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

عير وثور

اسما جبلين من جبال المدينة ، أولهما عظيم شامخ ، يقع بجنوب المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريبا ، وثانيهما أحمر صغير يقع شمال أحد . ويحدان حرم المدينة جنوبا وشمالا .

فليدرج ما بالنهاية وما بمعجم البلدان ، وليوضع بدله هذا العلم النير الواضح .

أما معجم ما استعجم فقد تولى تصحيح ما ارتطم به صاحبه من الخطأ محققه الأستاذ مصطفى السقا ، فنقل ما جاء فى الزبيدى شارح القاموس . ولكنه لم يفصل بين قول المجد وقول الشارح .

وقد أمدنى حضرة صاحب (الاعلام) بكتاب اسمه (كتاب عمدة الأخبار فى مدينة المختار) للمحقق العلامة الشيخ أحمد عبدالحميد ، نشره السيد أسعد طرابزونى الحسينى جاء فيه صـ ٢٤٩ ما يأتى .

مكتبتنا العربية

« ثور جبل صغير جداً وراء أحد ، وقال بعض الحفاظ : إن خلف أحد من شماله جبلا صغيراً مدورا يسمى ثوراً ، يعرفه أهل المدينة .

قلت : وأنا منهم إن شاء الله . ورأيته وعاينته ، وليس الخبر كالعيان » .

ثم نقل ما قاله أبو عبيد ، وما تأوله المتأولون .

ثم قال : وقد قال العلامة مجد الدين الفيروزابادى : لا أدرى كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وهم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته ، بمجرد دعوى أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا يسمى ثوراً » .

وللصديق المؤرخ المحقق السيد خير الدين الزركلى شكرى الجزيل على اهتمامه بهذا الموضوع وجليل عنايته به ، ثم إمدادى بهذا الكتاب وكتاب « آثار المدينة المنورة » .

وجاء فى كتاب : « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم » للعلامة السمهودى نزيل طيبة المشرفة بالجزء الأول ص ٦٦ :

« وثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة » .

ثم قال : وقد صح بما قدمناه أن أحدا من الحرم . لأن ثوراً حده من جهة الشام ؟

محمد فؤاد عبدالباقى

مركب النقص

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية رضى الله عنه ، فأذن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمد بن الأشعث فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف . فلما رآه معاوية قال له :

والله إنى ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله . إنا كما فى أموركم كذلك فى أدبكم . ما تزيد متزيد فى أمره إلا لنقص يجده فى نفسه .

مكتبتنا العربية

كيف كان عمر بن الخطاب

ينتخب قضاته ؟

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ينتخب قضاته من بين أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام إذا توسم فيه الفطنة والذكاء وسداد الرأى ، وبعد امتحانه بطريقة خفية ، بأن ينتهز فرصة وجوده وقت عرض الخصومات فيطلب إليه أن يحكم فى قضية منها لعذر من الأعذار كقوله إنه متعب ، أو يتغابى فيتظاهر بعدم فهمه لأقوال المدعى دون أن يشعره بأنه يختبره فى فن القضاء والفصل فى المنازعات .

وقد اتفق أن جاءه صحابى جليل وقت جلوسه للفصل فى خصومات المسلمين ، فأجلسه بجواره ، وجاءت امرأة تشكو زوجها بقولها : إن زوجى رجل صالح يصوم النهار ويقوم الليل ولا شىء غير ذلك .

فسألها عمر : هل يقوم بنفقتك ؟ فقالت : نعم . وهل هو يسىء معاملتك ؟ قالت : كلا يا أمير المؤمنين فإنه يحسن معاشرتى .

ثم تظاهر عمر بأنه لم يفهم غرضها . ونهرها غاضبا بقوله : ولماذا إذن هذه الشكوى منك ؟ فسكتت ، ولما شدد عليها فى السؤال التفت إليه صاحبه وأسر إليه بقوله : إنها تشكو زوجها لحرمانها من حقها فى فراش الزوجية يا أمير المؤمنين .

فقال له عمر : بما أنك قد فهمت هذا فلتحكم أنت بينهما . والتفت الصحابى إلى المرأة قائلا : أحضرى زوجك هنا .

وهذا مبدأ ثابت فى أصول القضاء بأن لا تسمع الدعوى إلا بعد إعلان الخصم أو حضوره . فذهبت المرأة وأحضرت زوجها أمام القاضى ، فقال لها القاضى : « أعيدى شكواك أمام زوجك » .

مكتبتنا العربية

وهذا مبدأ آخر من مبادئ القضاء بأن يترك القاضي للمدعى الحرية التامة في شرح دعواه أمام خصمه ، ولا يجوز للقاضي أن يشرح الدعوى بالنيابة عن المدعى ، وللخصمين الحق في الدفاع بالطريقة التي يراها كل منهما موصلة إلى حقه ، ولذلك طلب القاضي من المدعية أن تعيد أقوالها أمام زوجها فأعادت المرأة أقوالها أمام زوجها .

ولما انتهت قال القاضي للزوج : ما قولك في الدفاع عن نفسك ؟ فقال : يا حضرة القاضي، إن المؤمن إذا تمعن في كلام الله تعالى عن السؤال يوم العرض عليه ، وأن الله يحاسبه عن كل درهم من أين أتاه وفي أي شيء صرفه وعن كل فعل صدر منه ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتنسى كل ذي حمل حملها ، وأنا أخاف الله تعالى وأرجو النجاة من عذاب يوم عظيم ، وهذا دفاعي .

فقال له القاضي : اسمع الحكم يارجل : اعبد ربك ثلاث ليال، والليلة الرابعة لزوجتك.

ولما انصرفا من مجلس القضاء أرسل عمر إلى القاضي وسأله من أين أتى بهذا الحكم . وهذا مبدأ آخر لصحة الأحكام ، فالأحكام غير المسببة باطلة .

فقال له القاضي : إن الله تعالى أجاز للزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، فنفرض استعماله جميع حقه في الزواج من غيرها ، فهي لا تحرم إلا من ثلاث ليال فقط ، والليلة الرابعة من حقها بغير نزاع ، ولذلك حكمت لها بها .

فقال له عمر : والله لا أدري أأعجب من فهمك القضية أم من حكمك فيها ، اذهب فأنت قاضي البصرة .

فكان هذا امتحانا عمليا لهذا الصحابي الجليل ، وقد نجح في الامتحان فعينه قاضيا للبصرة .؟

محمد شريف

المستشار السابق

مكتبتنا العربية

من حق المرأة المسلمة

استشارتها قبل تزويجها

[عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن .
قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت)
رواه البخاري ومسلم] .

* * *

اللغة : الأيم هي من سبق لها زواج ، وفارقت زوجها بموت أو طلاق . تستأمر : أي يطلب أمرها هل ترضى بالزوج فينفذ العقد ، أو لا ترضى به فلا ينفذ . البكر : هي من لم يسبق لها زواج . تستأذن : أي يطلب إذنها بعد عرض الزوج عليها هل توافق عليه أولا ، ويكفي في إذنها أن تسكت ، فاعتبر الشرع سكوتها رضى نظراً لشدة حيائها .

الشرح

هذا الحديث دليل قوي على حكمة الإسلام وسداد تعاليمه ، وأنه صالح لكل زمان ومكان ، وإذا كان الناس في الماضي لم يهتموا بسؤال بناتهم عند تزويجهم فلأن الأمور كانت تسير في سهولة ويسر ، فترضى الزوجة بزوجها وتصبر عليه ، ترجو على ذلك ثوابا لها عند الله ، وأما الآن فقد أصبح سؤالهن واجبا ورضاهن حتما ، وصار اهتمام أولياء الزوجات بتعرف رغباتهن والسير في الطريق الذي يرسمنه لزاما ، بعد أن انتشرت المدنية الأجنبية وعلمت كثيراً منهن ولا سيما المتعلمات التمرد على الأوضاع القديمة ، والثورة على أولياء أمورهن ، لأنهم في زعم الزاعمين لا يراعون حقوقهن في اختيار شريك الحياة وأليف العمر . ولم تأت هذه المدنية بجديد ، بل هو الشرع الإسلامي الحكيم مقرر من يوم أن أرسل محمد ﷺ

مكتبتنا العربية

إلى العالم بشيراً ونذيراً وهاديا ، وإذا تهاون بعض الناس فى اتباع سنته ، وامتثال أمره ، فلم يكن ينشأ عن تهاونهم ما يحدث اليوم من ويلات ومصائب بسبب عدم مراعاة حقوق الزوجات فى اختيار أزواجهن . أما اليوم فمآسى الانتحار والهرب من بيت الزوجية ، والاعتداء على نفس الزوج بالقتل وعلى ماله بالسلب والإضاعة ، وخيانته فى عرضه ، والالتجاء إلى المحاكم لطلب التفريق وغير ذلك . كل هـــذه المآسى أصبحت حقيقة واقعة فى بعض الأوساط ، وأصبح انهيار الحياة الزوجية وما يترتب عليه من مشكلات وفساد فى المجتمع الإسلامى شائعاً معروفا ، مما أوجب الرجوع إلى الشرع الحكيم وتنفيذ أوامره بحذافيرها .

أوجب الشرع الحكيم على ولى الزوجة إذا كانت أيما أى سبق لها الزواج ، ثم أراد تزويجها من جديد أن يستأمرها أى يطلب أمرها ، هل تأمر بإنفاذ العقد فيمتثل أمرها ، أو تأمر بعدم إنفاذه فيمتثل أمرها ولا ينفذه . وإذا كانت بكراً لم يسبق لها الزواج أن يستأذنها فيعرض عليها الزوج الذى تقدم لطلبها ، فإذا قبلته فيها ونعمت ، وإلا نظر الولى إذا كان من أصحاب النظر الصائب ، هل يصلح هذا الزوج لها وهى مخطئة فى عدم الرضا به ، فيزوجها منه ولا يلتفت إلى قولها ، أو يرى فيه نقصا فيتبع أمرها ولا يزوجها .

وهذه المسألة خلافية بين الأئمة ، فأبو حنيفة رضى الله عنه يرى أن البكر وغيرها سواء فى وجوب امتثال أمرها ، وعدم إنفاذ العقد إذا لم توافق عليه الزوجة ، مستدلا بالأحاديث الواردة فى ذلك فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فتاة بكرا أتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة ، فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى تخييرها أنها إما أن تقبل البقاء مع زوجها أو يفسخ العقد ، واستدل أبو حنيفة أيضاً بأنه إذا كان ولى الزوجة لا يستطيع التصرف فى مالها بدون إذنها ، فأولى من ذلك أنه لا يستطيع أن يزوجها بغير إذنها ، لأن الزواج أجل خطراً من المال وأعظم شأنا ، لأنه مسألة سعادة دائمة أو شقاء دائم ، فهو مسألة حياة أو موت .

ويرى باقى الأئمة أن البكر تخالف غيرها . فلولى البكر جبرها على الزواج ممن لا ترضى به ، واستدلوا على ذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابن عباس أيضا « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأمر وإذنها السكوت » وفى رواية أخرى : « ليس للولى مع الثيب أمر ، والبتيمة تستأمر » والثيب هى غير البكر . قالوا خص الرسول صلى الله عليه

مكتبتنا العربية

وسلم الثيب بأنها أولى بنفسها من وليها ، وبأن الولى ليس له معها أمر ، ولم يصرح بذلك مع البكر ، فدل ذلك على اختلافهما ، وقالوا إن سؤال البكر لتطييب خاطرها ، وليعلم - إذا رفضت - سبب رفضها ، فربما كان وجيها وغفل عنه الولى فتجب حينئذ موافقتها ، وقالوا أيضاً إن البكر لم تجرب الامور ولم تدخل معترك الحياة ، فهى تقيس الامور بمقاييس قد تكون غير صحيحة ، فتفوت على نفسها الزوج الصالح ، ووليها أدرى منها بما ينفعها ، فلذلك كان له جبرها ، أما الثيب فقد عاشرت الرجال وخاضت معترك الحياة ، وأصبحت قادرة على تمييز ما يضرها وما ينفعها أكثر من البكر ، ولذلك جعلها الشارع الحكيم أولى بنفسها ولم يجعل للولى معها أمرا .

وهذان الرأيان وإن كان لكل منهما حجته المقبولة ، إلا أن الرأى ينبغى أن يكون وسطا بينهما ، فلا يترك للبكر الحبل على الغارب تختار من تشاء وترفض من تشاء ، ولا تقيد حريتها كل التقييد فتجبر على الزواج بغير من تحب ، ولو كان وليها أباها ، فقد دلت التجارب على أن بعض الفتيات ينخدعن بالزوج فتغرهن مظاهر جماله ، أو ثرائه ، أو هدوئه ، أو مركزه الاجتماعى ، فإذا عاشرنه ظهر لهن منه ما لم يحسبن له حسابا ، فيجدن فيه الجفوة والغلظة وشراسة الخلق وحب استعباد زوجته واحتقارها وإهانتها ، وعند ذلك يصحن شاكيات باكيات ، ويطلبن من أولياء أمورهن إنقاذهن من هذا الزوج البغيض المتوحش ، بعد أن كن متمسكات بالزواج منه كل التمسك ، ويهددن بالانتحار وغيره إذا رفض وليهن زواجهن منه ، ورأينا بعض أولياء البنات يسرن فى أمر زواج بناتهم أسوأ سيرة ، فيأتى لهن الزوج الصالح ذو الاخلاق الحميدة القادر على تكوين الاسرة ، فلا يوافقون على تزويج بناتهم منه ، لأنهم يرونه أقل منهم ثراء أو جاها ، أولا يوافق أمزجتهم لأنه محافظ من الطراز القديم ! وهم متمدينون يكرهون المحافظين ! فيفوتون بذلك مصلحة البنات ، ويسببون لهن العنس وعدم الزواج طول الحياة ، فيرمون بالبنات إلى أحضان الشر والرذيلة . وهذه جنايه فظيعة تأباها الإنسانية ، ويأباها الله ورسوله .

والرأى الوسط الذى ينبغى العمل به — بعيدا عن الفتاة — أنه إذا تقدم للفتاة البكر زوج ، يجتمع مجلس الأسرة من الرجال والنساء ويتذاكرون أخلاق الزوج وقدرته على تكوين الاسرة ، فإذا وافق عليه ، عرض على الفتاة بواسطة أمها أو خالتها أو أية سيدة فى الأسرة تكون صلتها بها وثيقة ، وتكون صريحة معها إلى أبعد الحدود ، فإذا وافقت

مكتبتنا العربية

عليه تم الزواج ، وإذا رفضته طلب منها سبب الرفض ، فإذا كان وجيها اتبعتها الأسرة ، وإذا كان غير وجيه راجعتها وبينت لها خطأها ، كما تبين لها الأسباب التي بنت عليها قبوله زوجا لها . فربما ترجع إلى صوابها وتقبله ، فإذا تعصبت لرأيها ، ولم يظهر لرفضها سبب وجيه ، فمجلس الأسرة هو صاحب الكلمة ، وأغلبية الرأى فيه هي صاحبة الأمر : إما أن يمضي الزواج عملا بمصلحة الفتاة التي ستتبين ذلك فيما بعد ، أو ترفضه على مسئولية الفتاة فيما اختارته لنفسها . وبذلك تتجنب الأسرة كثيرا من المتاعب والمشاكل ، بل يتجنب المجتمع كثيرا من الويلات والمصائب التي تحدث بسبب زواج الفتاة ممن لا تحب ولا ترضى به زوجا لها . وليس من الأسباب المقبولة في رفض الزواج ما تدعيه بعض فتياتنا اليوم من حب فتى آخر لم يتقدم لزواجها ، وهي تنتظر أن يتقدم ، فكثيرا ما تعرض أسباب تحول دون تقدم الشاب الذي تنتظره الفتاة ، أو يكون هو غير جاد في الزواج منها ولا يفكر في طلب يدها ، فتفوت الفتاة على نفسها فرصة لا تعوض ، وقد تفقد بسبب رفضها سعادة الحياة وعز الدهر .

وينبغي لولي الزوجة أن يكون حكيما وناظرا إلى الأمور بعين بصيرة ، وعقل ذكي ، دارسا لأخلاق المجتمع الذي يعيش فيه ، حتى لا يرمي بفتاته بين أنياب السباع ، ويفوت عليها الأمل الذي ترجوه ويرجوه هو لها .

وإذا كان جبر البنات على الزواج ليس مستساغا على إطلاقه ، فأولى بذلك جبر الشبان على الزواج من فتيات لا يحبونهن ولا يقبلونهن زوجات لهم ، فمن أولياء أمور الشبان من يدعي أنه أعلم بمصلحة ابنه من نفسه ، فيحتم عليه الزواج من فتاة لا يقبلها ، فإذا رفض منع عنه مساعدته وعونه وعاداه . وهذا مخالف للشرع ، فإن الشاب ليس عليه ولاية في زواجه ، وإذا كان الشرع أعطى للبنات حق الاختيار ، فأولى أن يكون للفتيان مثل ذلك الحق . نعم إذا كان الشاب صغيراً طائشاً وعلم أبوه أو ولي أمره أنه بزواجه سيقع في كارثة أو سيخسر ماله أو شرفه ، فإنه يجب عليه منعه بعد بيان أسباب المنع ، وهذا من قبيل رعاية مصالح الأبناء ، لا من باب جبر الشاب على الزواج ؟

طه الزيني
من علماء الأزهر

مكتبتنا العربية

جرائم الشباب

لا حديث للناس اليوم إلا عن الجرائم البشعة التى يقترفها كثير من الشباب ، والتى تعددت صورها واختلفت مظاهرها واتخذت لها طابع الجرأة والاستهتار والعبث والفساد .

ولا شك أن هذه الجرائم ظاهرة اجتماعية خطيرة يجب أن يحسب لها كل حساب من أولئك الذين يهتمون بشئون الإصلاح ومشكلات الحياة حتى يتهيأ للأمة جو صالح وحياة سليمة .

والذين ينظرون إلى هذه الجرائم ويتناولونها بالنقد والتحليل يجدون أنها آفات تصيب نفوس الشبان فتختل موازينهم وتطيش سهامهم فيتحللون من كل قيد ويجاوزون كل حد ، كما تصيب الأمراض أبدانهم فتخل قواهم وتزلزل عافيتهم فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

وليس بسبيل أن تكافح هذه الجرائم بالعقوبات والقوانين ، أو أن نكتفى فى مقاومتها بجهود البوليس والنيابة والسجون دون أن نبحث عن أصل الداء فنستأصله ، وأساس الجريمة فنقضى عليه . كما لا يصح فى الأذهان أن نقف بعلاج الأمراض عند حد وفرة المشافى ووجود الأطباء من غير أن نأخذ بأسباب الصحة ونتلافى أسباب المرض من قبل أن يستفحل أمره ويستشرى ضرره فيستعصى على الطب والأطباء .

ويمكن أن يقال إن أساس الجرائم كامن فى البيت الذى يدرج فيه الشباب ، والمدرسة التى يتعلمون فيها ، والمجتمع الذى يعيشون فيه . . . فجميعها عوامل رئيسية تحملها عبء هذه الجرائم ومسئوليتها ، لأنها تضافرت على تهيئة الجو المناسب لها ولم يجد الشباب فى إحداها حصانة أو مناعة .

فالبيت هو تلك الخلية الأولى التى ينمو فيها الشباب ، والبيئة الأصيلة التى يتعلمون فيها أسلوب الحياة الذى سيتخذونه أيام الشباب فى المجتمع الكبير : فى المدرسة والسوق والمصلحة

والمصنع والمتجر . . فإذا كان البيت صالحاً يحوى الأب الفاضل والأم المهذبة وكان جوه عامراً بالتقوى والفضيلة حافلا بمعانى الإخلاص والصفاء والمودة والرحمة والحب والمودة أمكن للشباب أن يعيشوا فى الحياة العامة على أساس هذه المبادىء وعلى هدى تلك الخصال ، وصارت علاقتهم بالمجتمع خيرا وطهراً وشرفا .

وشر ما ينكب به الشباب فى حياتهم الأولى أنهم يعيشون فى جو فاسد وفى بيت مفعم بالرذائل والمنازعات والضغائن والاحقاد ، مثلما ينشأون فى كنف زوجات آبائهم أو تحت رحمة أزواج أمهاتهم . . وعندئذ يجدون عداء وبغضاً وخصاما وشقاقا وشقاء وحرمانا يحتاجون معه إلى أن يتعلموا المكر والخبث كى يحصلوا على حقوقهم إزاء إخوة امتازوا عليهم ، ثم تنمو فيهم تلك الصفات وتتربى معهم تلك الشرور وينشأون بها شباباً ويعاملون بها المجتمع وكلهم شر وفساد وإجرام .

ومن أجل ذلك يجب أن تحشد الجهود وتجند القوى لرفع مستوى البيت فى المجتمع ، وصيانته من التيارات التى تتقاذفه وتدفع به أمامها إلى هوة الحضيض والانتكاس ، وإحاطته بسياج منيع من التربية الدينية والوعى الخلقى والمثل الكريمة التى تجعل منه جنة ونعيما ، شعاره السلام وروحه الإخلاص وعنوانه الصفاء ، وبذلك نحصل على البيت الكريم الذى يكون اللبنة الصالحة فى جسم المجتمع والدعامة الحقة من دعائمه .

أما المدرسة فهى عامل هام فى حياة الشباب وتكوين اتجاهاتهم ، وهى التى ترشحهم للحياة إما رجالا نافعين يرفعون من شأن الأمة ويعلون صرحها ويدعمون حضارتها ونهضتها ، وإما قوما متواكلين متخاذلين يألفون الراحة ويأنفون مرارة الكفاح وأداء الواجب .

ومدارسنا اليوم - بالأسف - لا تزال تهتم بالتعليم ولا تعنى بالتربية . . وتنشر الثقافة ولا تحرص على الدين ! وتحاول أن تحارب فى نفوس الشباب الجهل ولكنها لا تحاول أن تزكيهم بالفضيلة . . حتى فقد شبابنا كل حصانة ، وتجردوا من كل سلاح ، فاستسلموا للمبادىء الهدامة ، والأفكار الضارة ، واتجهوا إلى المهازل والخرافات ، وجرفهم تيار الحياة إلى خضم الرذائل والآثام والجرائم والموبقات ، ولذلك يجب أن تكون المدرسة عاملا مكملا للبيت يتدارك ما فاته ويتعاون معه على التربية والتقويم .

وفى سبيل ذلك ينبغى أن تعدل المناهج التعليمية تعديلا يتفق وما يراد للشباب من تهذيب الأخلاق ، وتقويم السلوك ، وتكوين الشخصية النافعة ، بحيث تكون مادة الدين والتربية الدينية أهم عناصرها البارزة ، وإحدى أسسها المتينة . كما ينبغى أن يخلص المدرسون فى أداء الأمانة ورعاية الواجب الذى ارتهنت به ذممهم أمام الله والوطن ، وأن يمثلوا القدوة الطيبة والأسوة النافعة والمثل العليا التى يحتذيها النشء ، ويرون فيها الطريق الأقوم والصراط المستقيم ، فالقدوة الصالحة أبلغ موعظة وأهدى سبيل وأثمن كتاب .

أما ثالثة الأثافى فالمجتمع الذى يموج بألوان شتى من مظاهر الفساد والتى تثير غرائز الشباب ، وترضى نزعاتهم ، فالبارات والمراقص والملاهى والسفور والاختلاط والصحافة الماجنة والأغانى الخليعة والشواطىء الفاجرة ، كلها عوامل إغراء وفتنة ومعاول هدم وسقوط ، تترك الشباب فرائس للعادات المرذولة وضحايا للنزوات الطائشة والشهوات الرخيصة ، وتخلق فى نفوسهم نوعا من التخنث والميوعة يقتل فيهم كل طموح ويدفع بهم ركضا إلى التحلل والفساد .

وأسوأ ما يبعث على الجرائم هذه الأفلام ، المثيرة التى يقبل الشباب على مشاهدتها فى السينما إقبال المنهوم على الغذاء والظمآن على الماء . والسينما بما لها من هذا النفوذ الواسع والانتشار الكبير كان يمكنها أن تكون أداة تهذيبية تثقيفية ، وأن تكون مرآة للواقع وصورة للحياة عن طريق علاجها للمشكلات الحيوية والأحداث البارزة حتى تكون أداة فعالة فى بناء مجد الأمة وعاملا هاما له خطره فى موكب الحياة . ولكن أين ذلك ؟ والمشرفون على السينما تجار أولا وقبل كل شىء ، لا تعنيهم المحافظة على الأخلاق والآداب بقدر ما يحرصون على جمع المال والثراء ، وقد خبروا اتجاهات الشباب فعرفوا أنهم يميلون كل الميل نحو التهريج المبتذل والضحك الساخر والهراء السخيف ، فأشبعوا غرائزهم وأرضوا نزعاتهم ، من غير أن يقيموا وزنا لدين أو يرفعوا رأسا بخلق أو يحسبوا حسابا لأدب . . وبذلك فتحوا مجال الشر والفساد أمام البنين والبنات والكهول والشباب ، وأنشأوهم خلقا آخر من الميوعة والتخنث ، بعد ما استنزفوا حيويتهم وابتزوا أموالهم وأضاعوا أوقاتهم وقضوا على كل رجولة فيهم .

لا تسل عن تلك الأفلام والروايات التى تمجد الإجرام وتعظم الشهوات وتهيج الغرائز الجنسية وتصور الحياة وكأنها دنيا الهوى والمتعة فحسب ، وعالم الزنق والإسفاف والمجون

فحسب . . مما يكون له أثره فى النفس ووقعه فى الوجدان وسحره فى الشعور . ثم تنتقل الرواية من السينما إلى الخارج ومن عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ومن دنيا الأحلام إلى دنيا الواقع . فيمضى شبابنا فى محاولة وبيلة هى أن يحيوا نفس الحياة التى شاهدوها . ويمارسوا نفس الأساليب التى رأوها ، ويفتهوا إلى نفس النهاية التى انتهوا عندها . الأمر الذى يحطم الأخلاق ويودى بكيان الأمة إلى الحضيض . . !!

وأخيرا فطن المسئولون إلى ضرر الأفلام السينمائية وخاصة على النشء الذين يتأثرون بها تأثرا كبيرا . فاتجهوا إلى إصدار قانون يحرم على الأحداث مشاهدة بعض الأفلام لما لها من تأثير سيء على نفوسهم وأخلاقهم .

ولئن كنا نحمد للمسئولين مثل هـذا الاتجاه الحميد ، فإننا نطالبهم بتطهير السينما عامة من الأفلام الداعرة والمناظر الفاجرة والروايات المثيرة . . وأن تقوم على فكرة اجتماعية أو مظاهر أدبية أو عرض لتاريخ حماسى نبيل وجهاد حربى فى سبيل الوطن والحق أو ثقافة نافعة مفيدة . وبذلك تكون أداة توجيهية للشباب يرون فيها آمالهم وآلامهم ، وتتجاوب مع مشاعرهم وإحساساتهم ، وتعينهم على بلوغ أهدافهم .

وبعد : فهذه هى العوامل الرئيسية التى هيأت للجرائم الجو الذى تعيش فيه ، وأتاحت الفرص المواتية للشباب أن يجرموا وأن يعيثوا فى الأرض الفساد ، وفيهم من شبابهم غرائز تجمح وحيوية تثور ، فإذا أردنا أن نبقى على شبابنا - وهم عصب الحياة وعدة الوطن وذخر الأمة - فلنصلح أولا ما أفسده البيت ، وما أهملت فيه المدرسة ، وما تدهور فيه المجتمع .

وبذلك تطهر حياتنا من الجرائم ، ونصبح أمة جديرة بالتقدير والاحترام ؟

حامد محمود اسماعيل
المدرس بمعهد قنا الدينى

من كلام الأحنف بن قيس

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنىء ، وبر من فاجر ، وحليم من أحمق .

لا إخاء لملول ، ولا خلة لبخيل .

لأن تحكك فى جوانب بيتى أحب إلى من أيم قد رددت عنها كفؤا .

مكتبتنا العربية

الاجتهـــــاد والتقليد

من المعلوم بداهة عند الفقهاء أن لله تعالى فى كل حادثة وكل فعل من أفعال العباد حكما شرعيا ، فإن لم يكن فى القرآن الكريم أو فى السنة الصحيحة أو فى الإجماع فلا بد وأن يكون فى اجتهاد المجتهدين ، لأنه لايخلو فعل من الأفعال من أن يتعلق به حكم من الأحكام الخمسة ، وإلا لاختلط الحلال بالحرام ، والمأمور به بالمنهى عنه ، وأصبح الناس فى حالة تشبه حالة الفترة التى انقطع فيها وجود رسول من الرسل يبين شرع الله لعباده ، وهذا قول لا يستسيغه مسلم ولا يستطيع فقيه أن يقول به ، خصوصاً فى شريعة هى خاتمة الشرائع ، ورسولها خاتم الرسل ، كتب الله لها البقاء والخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وذلك مما يوجب علينا ونحن بصدد الكلام على الاجتهاد والتقليد أن نبين فى وضوح - بمقدار مانستطيع - حكم الاجتهاد . وهذا أمر ضرورى يميط لنا اللثام عن هذه القضية حتى يسفر وجهها وضاء الجبين ، ليتبين لكل منصف الحد الذى يجب عليه أن يأخذ به إن أراد الفلاح ، أو ينكص عنه إن ألم به فزع من الشيطان أو طاف بخياله وهم من الأوهام ، فزلت قدمه عن سلوك محجة الأمان والاطمئنان ، « إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

وللعلماء فى حكم الاجتهاد تقسيم وحصر يحمل بنا أن نسوقه حتى لاتتشعب المسالك على القارىء . فتراهم تارة يجعلون الاجتهاد من فروض الكفايات . ومن الواضح فى تعريف فرض الكفاية أنه إذا توفر عليه وقام بتحصيله واحد أو أكثر ممن كان من أهله سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر أثموا وعصوا بتركه ووقع الجميع فى خطر عظيم وإثم كبير ، لأنهم انحرفوا عن جادة الصواب وقصروا فيما تتطلبه الحياة ويقتضيه نظام المجتمع ، وتسببوا فى جعل حياتهم فوضى لاتستند إلى دعائم تقيم أركانها وتحفظ كيانها كأمة أو جماعة تريد تحقيق حكمة الله تعالى من خلافة البشر فى الأرض وبسط جناح الرحمة على الناس . فالأحكام الشرعية الاجتهادية ناشئة منه ومترتبة عليه ترتب المسبب على السبب فإذا لم يوجد السبب فقد المسبب ، ففى فقد الاجتهاد فقد للأحكام ، واختلاط

للحلال بالحرام ، وفى وجود المجتهد عصمة للأمة وملاذ للمكلفين وبيان لأحكام الله فى أفعال عباده المؤمنين .

ولخطورة هذا البحث وتطلع كل محب لمعرفة أحكام أفعاله قام فقهاؤنا بتلمس العلاج والوقوف على حقيقة الأمر فى هذه القضية ، لأنها تنادى وتلح فى أن تعرف منزلتها وترمق مكانتها عند العلماء ـ وقد رأيناهم ينظرون إليها نظرات مختلفة فيعرضها بعض المؤلفين على الوجه الآتى :

(اختلف العلماء فى جواز خلو العصر عن المجتهدين أو عدم خلوه ، فذهب جمع إلى أنه لايجوز خلو الزمان عن مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس ما نزل إليهم ، وبه قالت الحنابلة ، ويدل على ذلك ماصح عنه عليه الصلاة والسلام من قوله « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ») .

وقد حكى الزركشى فى البحر عن الأكثرين أنه يجوز خلو العصر عن المجتهد ، وبه جزم الرازى والرافعى والغزالى . وقال بعض الأصوليين : « لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة فى كل وقت ودهر وزمان » ورجح ذلك ابن دقيق العيد .

والذى أراه وأظن أن القواعد العامة للشريعة الإسلامية وتجدد الحوادث ونشوء النوازل وتاريخ التشريع الإسلامى وما كان يجتهد فيه الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وتاريخ التشريع فى القرون الأولى وفى أيام مجد الإسلام وعزته وقوته ، كل أولئك يقتضى ضرورة عدم خلو العصر من مجتهد . ووقوف العلماء مكتوفى الأيدى ، خرس الألسن ، لا يستطيعون إجابة السائلين ولا بيان أحكام رب العالمين ، لا يرضاه منصف ولا يستسيغه مفكر .

وتارة أخرى يصبح الاجتهاد فرض عين على المجتهد وضربة لازب لا يستطيع الفكاك عنها ، ويكون توليه عن الإجابة وكفه عن الاجتهاد شبيها بتولى الجندى عن القتال عند لقاء العدو ، لأن كلا من المجتهد والمجاهد فى تلك الحالة قد أهمل استعمال ما أنعم الله به عليه وما أعده له ، فالجندى المجاهد أعد للطعن والنزال واستعمال قوته الجسمانية ، والفقيه قد قعد عن استعمال ما كرمه الله به من رجاحة العقل ، وفطانة اللب ، وكل واحد منهما قد خان الأمانة التى ائتمنه الله عليها ، فهو بعيد عن رحمة الله قريب من غضبه . والحالة التى تتعين على المجتهد أن يقوم ببذل جهده لاستنباط حكم الله فى الحادثة التى عرضت عليه هى : ما إذا لم يكن هناك إلا مجتهد واحد ويخاف السائل فوت الحادثة التى نزلت به وعدم وقوفه على حكمها .

مكتبتنا العربية

وطورا آخر يصبح الاجتهاد مندوبا إذا قام به المجتهد قبل نزول الحادثة ووقوع النازلة تحصيلا لأحكام الحوادث قبل نزولها .

وقد تصدى كثير من الفقهاء مستعملين قرائحهم مفكرين فيما سيجد من الحوادث اعتقادا منهم أن الفلك دائر ، وأن الزمان متجدد ، وأن الليالى من الزمان حبالى تلدن وقائع وتنجبن حوادث لم ير الزمان الماضى مثلها ، فهم يعدون العدة ويتخذون للأمر ما يتطلبه ، فهم أشبه بالجنود الذين يتصورون معارك لم يسبق لهم مثلها ، ويفكرون فى حروب لم يركضوا فى ميدانها ، فيأخذون فى الأهبة والاستعداد لمواجهة العمل فى كل ميـــدان . وهؤلاء المجتهدون قد قاموا باستنباط كثير من أحكام الحوادث قبل وقوعها ودونوها فى كتبهم فجاء من بعدهم ووقف على تلك الذخيرة فأسعفته فى كثير من الأحيان وأراحته من عناء البحث ، وعناء التنقيب والاستقراء والتطلع إلى استنباط الأحكام .

وطورا آخر يصير الاجتهاد محرما إذا كان اجتهادا فى مقابلة دليل قاطع من نص أو إجماع .

وقد عرف المجتهدين منذ عرف الاجتهاد مدرستان متمايزتان ، لكل منها ميدان تعمل فيه وتجد وتجتهد فى تمكين دعائمه وتوضيح معالمه : فهناك مدرسة الحديث ، وهناك مدرسة الرأى ، فمالك رضى الله عنه فى المدينة يتزعم مدرسة الحديث ، يتمسك بالعمل به ولا يحيد عنه ، وينضم إلى تلك المدرسة وينخرط فى سلكها ويدور فى فلكها أصحاب الشافعى وأصحاب سفيان الثورى وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم ممن ركن إلى استنباط الأحكام من الأحاديث .

ومنشأ وصف هذه المدرسة بالمدرسة الحديثية أن جل عنايتها وغاية قصدها تحصيل الأحاديث وجمع الأخبار ، وتتبع الآثار والتوفر على الإحاطة على قدر الطاقة بالسنة النبوية قولية كانت أو فعلية أو تقريرية . فلعمل أهل المدينة عندها مكانة ملحوظة ، ومنزلة رفيعة ، فلا سلوك للقياس فى هذه المدرسة عند وجود خبر أو أثر . حتى لقد روى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « إذا وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى فاعلموا أن مذهبى الخبر » وسلك تلاميذه ومن بعدهم ممن اتبعوا مذهبه ذلك النهج فهم قد حصروا اجتهادهم فيما نقل عنه توجيها واستنباطا دون خروج عن قواعده أو زيادة على أصوله التى بنى عليها مذهبه .

مكتبتنا العربية

ولمدرسة الرأى بالعراق زعيمها أبو حنيفة النعمان بن ثابت وأصحابه الذين أخذوا طريقتهم عنه . وقد كان شعارهم الذى اشتهر عنهم وأصبح لازمة من لوازمهم قول أبى حنيفة : (علمنا هذا رأى ، وهذا أحسن ما قدرنا عليه ، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى ولنا مارأينا) .

وقد أخطأ بعض الناس فى فهم مدلول هذه العبارة وفهم منها أن أبا حنيفة يرفض الأحاديث كلها جملة وتفصيلا ، والمطلع على قواعد أبى حنيفة فى استنباط الأحكام يرى أن للسنة مكانتها السامية عنده ، بل يراه قد تمسك ببعض الأحاديث المرسلة لبعض المحدثين على حين أن غيره من مدرسة الحديث يرفضها ، فأبو حنيفة فى الواقع متمسك بالأحاديث حريص عليها حفيظ على معانيها وما دلت عليه ، لكنه كان بعيد النظر واسع الأفق ينظر إلى المستقبل وتجدد الحوادث ، فأعد لها العدة إذ كان لا يغيب عنه ولا يغرب عن فكره أن النصوص من الكتاب والسنة محدودة محصورة ، وما تأتى به الأيام وما تلده الليالى من النازلات غير محصور ، فكيف توفى هذه النصوص المحصورة أحكام الحوادث التى لاتتناهى ولا تنحصر فى حد معين . وسميت هذه المدرسة بذلك الاسم لأن أكثر همها وأعظم عنايتها واستفراغ جهدها كان فى تحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام المنصوصة وبناء الحوادث عليها .

وقد كان للحرية الفكرية التى جعلها أبو حنيفة شعاراً لمذهبه أثر عظيم فى أصحابه وتلاميذه ، فزادت المذهب خصبا ونموا وقوة وربما كانت هى السبب فى أن أصبح هذا المذهب قوى العارضة مكين الحجة قادراً على مواجهة الحوادث وإخضاعها للأحكام الشرعية وللقواعد الأصولية ، وربما كانت هى السبب فى ظهور أصحاب أبى حنيفة وإلباسهم ثوب الاجتهاد المستقل فى بعض المسائل . وكتب الفقه الحنفى مليئة بأقوال ترجح فيها رأى الصاحبين لملاءمته للحياة ومناسبته لها .

وبعد أن بسطنا القول فى حكم الاجتهاد ، ووجوب قيام مجتهد فى كل عصر ، نذكر كل من ألقى على عاتقهم عبء هذه الشريعة ، بأن من الواجب ألا يغفل عن إعداد العدة وتهيئة الفرصة والأخذ بالوسائل القريبة والبعيدة وجمع شمل العلماء فى جميع البلاد الإسلامية وتوحيد كلمتهم حتى يبقى سلطان هذه الشريعة وحتى يوفى لهذه الأمانة حقها ، والله المستعان وهو على كل شىء قدير ؟

عبد الله المراغى

مكتبتنا العربية

سـعيد بن المسيب

جلس فى نافذة فى قصره تطل على المروج الخضراء والجداول الرقراقة الجارية ، وسرح نظره فى الأفق البعيد . ثم ارتد إلى السهول والوديان ، وارتفع إلى الجبال الشاهقة ، وقد اعتجرت بعمائم الثلج .

ورأى العربى جمالا متدفقاً . وحسناً باهراً ، ورجع خياله إلى البادية ، إلى المفازة التى ليس فيها إلا خشونة العيش وجفوة الطبيعة وأصوات القطا . . . . . إنه كان يسكنها من قبل !

ما أجمل دمشق ، وكيف لاتكون دمشق كذلك ؟! وهى إحدى منازه الدنيا ، وجنات الحياة !

وتولد من هذا المشهد عزم فى نفسه ، ودارت دورات الفكر فى ذهنه ، إنه كان قد أمر أن تهدم بيوت أزواج النبى ﷺ ، وتدخل فى ساحة المسجد فتتسع للمصلين بعد أن استفحل عمران المدينة وزاد عدد سكانها ، وأرسل إلى ملك الروم ، ليرسل إليه الذهب والفسيفساء والعمال ، لبناء مسجد رسول الله .

كان قد أمر بذلك كله . . . . فهل يا ترى تم ذلك أو لم يتم ؟!

إنه وهو فى غوطة دمشق يفكر فى مسجد خاتم النبيين محمد النبى العربى فى المدينة ، وفى استطاعته أن يرسل إلى عامل المدينة عمر بن عبد العزيز ليحيطه بأنباء ذلك كله . . .

ولكنه فتى عربى . . . . أبى إلا أن يضرب العيس ، ويجوب الموماة ، ليشهد ذلك بعينه ، وليسرح فيه بصره ، كما يسرحه الآن فى خمائل دمشق وغياضها .

ووقف فى ساحة قصره ، ونادى حاجبه .

وأقبل حاجبه مرتعشاً متلعثما . . . . ما الخبر يا أمير المؤمنين ؟!

قال الوليد بن عبد الملك :

لقد نويت أن أحج هذا العام ، فأعدوا العدة لذلك .

مكتبتنا العربية

وخرج مع أمير المؤمنين الوليد رجالات قريش ، وعظماء الدولة ، وأمراء الشام ، ومصر ، وفارس ، والعراق ، وفرش الطريق أمامه بالورد والريحان ، وساروا على بسط آذربيجان ، والتحفوا بديباج كسرى أبو شروان .

وسار الموكب سيراً هادئا رتيبا ، تحف به نسائم تهامة ، وتستقبله برودة الطائف ، وتسير الإبل يحدوها الغواد بأنغام فيها شجو البلابل ، وسجع الحمائم ، وأطل القمر من السماء وأرسل شعاعه الفضى على هـــذه الكوكبة ، التى تريد الحرم والظاعنة إلى بكة ، والتى تبدو فى غمار الليـــل ، وفى وسط صحراء العرب ، كمجموعة العصافير التى تحوم فى وسط السماء .

واقترب الركب من المدينة ، وعلم به عمر بن عبد العزيز ، فأرسل إلى عشرين رجلا من وجهاء قريش وأعلامها ، ليخرجوا معه فيستقبلوا ابن عمه أمـــير المؤمنين الوليد ابن عبد الملك ، واهتزت المدينـــة لقدومه ، وبدأ الرجال والفتيان والنساء كتائبهم لمشاهدة موكب أمير المؤمنين أعظم ملوك الأرض يومئذ .

وخرج عامل المدينة ، وأصحابه إلى « السويداء »[1] للقاء أمير المؤمنين وقد امتطوا دوابهم وخيلهم .

وأقبل الخليفة من بعيد راكبا . . . وأسرع إليهم حاجبه قائلا : انزلوا لامير المؤمنين .

فلما نزلوا حيوه ، وتلقوه بالبشر والتسليم ، ثم أذن لهم فركبوا ، ودعا الوليد عمر ابن عبد العزيز وسايره حتى نزل بـ « ذى خشب »[2] وضربوا للوليد قبة واسعة الأطراف ، بعيدة الأكناف فلما ضربوها أذنوا للرجال ، رجلا رجلا فسلموا عليه بالإمرة مصافحين ، ثم دعا بالغداء . فتغدوا على مائدته ، وأتحفهم بفواكه الشام ولطائف خراسان .

واتجه إلى المدينة وفى ذهنه صورة لمسجد الرسول وبنائه ، وعما تكون عليه حاله .

ودخل المسجد ، فرأى بهاء وفخامة وروعة تأخذ بمجامع النفس والقلب والبصر ، وتبسم ضاحكا . . . ما أعجب هؤلاء الرومان ، لقد بقى فهم عبقرية جن سليمان . وأخلى للخليفة المسجد إلا رجلا ضعيف الجسم ناحله ، لم يهتز للوليد ، ولم يسع إليه ، ولم يجترئ

---

(١) ، (٢) مكانان قريبان من المدينة .

مكتبتنا العربية

أحد من الحرس أن يخرجه ، تراه العين فتزدريه ، فهو رجل فقير عليه ربطتان لا تساويان إلا بضعة قروش أو خمسة دراهم ، وهو فى مصلاه يسبح بحمد ربه ويقدس له .

وعامل الوليد بالمدينة يساره فى المسجد ، وينظر إلى الرجل وقلبه يدق دقا عنيفا . . . ولكنه يصمت . . .

قالوا لسعيد : لو قمت إلى أمير المؤمنين ! .

قال : والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه .

قالوا : فلو سلمت على أمير المؤمنين .

قال : والله لا أقوم إليه .

وجعل عمر بن عبد العزيز يعدل بالوليد فى ناحية المسجد حتى لا يرى سعيداً . وحانت من الوليد نظرة ... نظرة إلى القبلة . فقال : من ذلك الجالس ! ؟ .

قالوا : سعيد بن المسيب

قال : شيخ الناس ؟ !

قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين ، قائم الليل ، وصائم النهار ، وحافظ الكتاب ، ومحدث السنة ، وإمام الدين ، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، ولكنه لم يرك لضعف بصره .

قال الوليد : قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه .

ثم دار فى المسجد حتى وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد .

فقال : كيف أنت أيها الشيخ ! ؟ .

ولم يتحرك سعيد أو يقم .

قال سعيد : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟ ! .

قال الوليد : بخير والحمد لله .

وانصرف الوليد وهو يقول لعمر:

هذا بقية الناس .

قال عمر : أجل والله يا أمير المؤمنين ؟

عبد الله قاسم صقر
المدرس ببور سعيد الثانوية

مكتبتنا العربية

مؤتمر اسلامى فى اندونيسيا

يقرر بأن الشيوعية دين يخالف دين الاسلام

عقد مجلس رجال الدين من الجمعية الإسلامية المنتسبة إلى حزب مسجومى فى اندونيسيا مؤتمرا فى مدينة باندونج ، قرر فيه العمل وفق « الفتوى » التى أصدرها زعماء الحزب الدينيون فى أندونيسيا والتى تقضى باعتبار العقيدة الشيوعية « حراما على كل مسلم ومسلمة » .

ولقد تناول البحث فى المؤتمر المذكور الذى ترأسه الأستاذ حسن بن أحمد موضوعات تركزت حول النقاط التالية :

ان نضال المسلمين فى أندونيسيا لتأسيس دولة إسلامية قد ناهضه آخرون تحت قيادة الحزب الشيوعى الاندونيسى .

ان الكثيرين من الذين يدعون بأنهم مسلمون قد أصبحوا أعضاء فى الحزب الشيوعى ، والاكثرية من المسلمين الذين أصبحوا أعضاء فى ذلك الحزب لا يفقهون - على ما يبدو - طبيعة العقيدة التى يدين بها الحزب .

ولقد ذكر المؤتمر أولئك الذين أخذوا بمبادىء مثل تلك العقيدة الشيوعية بأن القرآن الكريم قد تحدث كثيرا عن أولئك الذين يتنكرون لكتاب الله . واستشهد بما يلى من آيات الذكر الحكيم :

« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فأن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون » . المائدة . آية ٤٩ .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » . المائدة : آية ٤٤ .

« أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » المائدة : آية ٥٠ .

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون » النور : آية ٥١ .

مكتبتنا العربية

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » الأحزاب : آية ٣٦ .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . النساء : آية ٦٥ .

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » . المائدة : آية ٥٥ .

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » المجادلة : آية ٢٢ - « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » البقرة : آية ٨٥ - « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » - البقرة : آية ٨٦ - « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » . النساء : آية ١٤٩ - ١٥٠ -

هذا وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

« إنه لواجب على كل مسلم أن يؤيد القانون الإسلامى فى نفسه وفى المجتمع وفى الدولة »

« لقد أفتى بأن الدين يحرم على المسلمين الانتماء إلى أى حزب أو أية منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته أو تعارض فى تنفيذ القانون الإسلامى » .

« إنه لواجب على المسلمين الاتصال بإخوانهم المسلمين الذين انتموا إلى أى حزب أو منظمة تناهض عقيدتها تعاليم الإسلام وشريعته وتقاوم تأسيس دولة إسلامية علهم يرجعون إلى الصراط المستقيم ، ويساهمون فى الجهود الرامية إلى تأسيس دولة إسلامية » .

أما إذا آثروا - رغم جميع الاتصالات والالتماسات - أن يبقوا منتمين إلى حزبهم أو منظمتهم ، مقتنعين بأن عقيدة الحزب إنما هى أفضل وأصح من العقيدة الإسلامية (التى هى من عند الله) فمعنى ذلك أنهم قد ارتدوا عن الإسلام .

هؤلاء المرتدون عن الإسلام لا يمكنهم فى حالة الوفاة أن تشيع جنائزهم ويدفنوا حسب الشريعة الإسلامية . كما أنه حرام على المسلمين أن يتزوجوا من هؤلاء المرتدين ؟

تعليقات

— ١ —

عبد الله جابر الصباح

من هو ؟

رجل تجذبك إليه روح طيبة ، وظل خفيف ، ويعجبك منه أدب جم ، وخلق إسلامي صادق .

وقد يغنيه ما أحرزه من تلك الصفات عن محامد أخرى ... ولكن الرجل يحمل معها لقب الإمارة ، وعنوان الوزارة ... فهو أمير عربي من أمراء الكويت ، وهو وزير معارفها .

ولكنه يدخل إلى نفسك من طريق التواضع والحياء ، لا على حساب الإمارة ، ولا من طريق الكبرياء ، وهو يشغل من قلبك مكانة الحب المكتسب لا الحب المصطنع .

وقل من يرقى فى قلوب الناس إلى هذه المنزلة وإن يكن أميراً أو وزيراً .

تردد هذا الأمير على مصر ، ويتصل بوزرائها ، ويجلس إلى علمائها ... وكلهم يستريح إلى مجلسه وحديثه أكثر ما تكون الراحة إلى الأمراء ، وأكبر ما تكون الغبطة بمجالس العلماء .

ولقد عرف هذا الأمير العربي بأدبه وفضله أن يفتح قلوب المصريين لمحبة بلاده ، وأن يجدد لنا صلة مع إخواننا أهل الكويت ، صلة الأخوة التى حجبتها السياسات الأثيمة ، وكادت تذهب بها القطيعة فى ظلمة العهود الغاشمة .

فأصبحت مصر والكويت — بفضل ما يتعهده أمثال الأمير عبد الله جابر — على محبة الأخوة الصادقة ، ووفاء العروبة المشهود .

وقد كان من بوادر النيل فى صنيع الأمير أن تبرع من خالص ماله بنحو من عشرين ألف جنيه لجهات الخير فى مصر منها عشرة آلاف جنيه لطلاب الأزهر ، على أن توزع بين من يستحقون التشجيع من شباب هذه الجامعة الإسلامية .

وقد عشنا طويلا فى جوار أمراء مصر — كانوا — فما أحسسنا منهم بود ، ولا شعرنا لهم بوجود ، وإنما ابتليت بهم البلاد ، فكانوا عليها لا لها ، وكانوا

مكتبتنا العربية

يستدرون خـــيرها ، ويكفرون فضلها ، ويحقدون عليها ، ويسيئون إليها ، فما سمعنا يوماً أن واحداً منهم حمل عنها رسالة محبة إلى شعب آخر ، ولا نقل إليها عاطفة مودة من أمة ثانية ، ولا فكر فى أن مصر عربية شرقية مسلمة لها وشائج تربطها بدول أخرى عربية شرقية مسلمة ، ولا عمل أحدهم ولا جماعة منهم على توثيق الصلة بين مصر وأخت من أخواتها فى العروبة والإسلام ، وكيف كان يخطر لواحد منهم شىء من ذلك ودمهم غير عربى ، ونشأوا فى رقعة غـــير شرقية ، وشبوا فى جو غربى ، فليست بيننا وبينهم وشيجة إلا وشيجة الدين ، وهذه كانت عندهم أوهى من خيوط العنكبوت ، وما حرصوا عليها إلا كما يحرص التاجر على أسباب ربحه وأدوات كسبه ، لقد أثرى منهم من أثرى حتى طفحت مصر بثرواتهم ، وطالت بهم الأيام حتى ضجرت مصر من طول مقامهم ، وهم مع ثرائهم وطول مقامهم لم تجنح بهم العاطفة نحو فقير ليقتات ، ولا نحو مؤسسة لتسد فراغا فى حياة المجتمع .

وكل ما تذكره لهم مصر فى حياتهم الطولى أنهم زرعوا فيها المفاسد ، وخلطوا قوميتها بعادات ليست لنا . وعاشوا فيها حصوما لها وحربا عليها .

ثم كان الله لمصر وهى وطن إسلامى ، ومعقل حصين للقرآن ، ومنارة شامخة للدعوة والهداية إلى شريعة الله ، فاستلب نعماءه من أمرائها ، وقوض عليهم سلطانهم ، وكسر شوكتهم ، وبدد جمعهم فى أودية مترامية عن بعضها .

تنفست مصر من كربها بعد اندحار مليكها الطاغية واستئصال هذه الأرومة الخبيثة .

واستطاعت مصر أن تنهض فى شموخ بعد طول صبرها على طغاة تجبروا عليها ، وكبلوها فى قيود الاستعمار أزمنة طوالا ، وعرفت مصر فى ضوء ثورتها أن تسترد كرامة مسلوبة ، وأن تنعى صادقة ببطولة أبنائها ، واستعادة مجدها قشيبا كما كانت تود وتتمنى .

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فأولئك كانوا أمراء فى وطن رحيب ودولة عريضة ، وضيف مصر أمير فى شعب محدود ووطن غير فضفاض ، ولكن أين أولئك الكثيرون فى مصر ـ كانوا ـ من هذه القلة فى الكويت ؟ . ومادام فى الكويت أمثال عبدالله الصباح وأسرته ، ومادام على ما شهدنا وسمعنا ، فإن الله معهم ، وستأخذ الكويت حظها من التقدم والنهوض ، والملك لا يحميه أهله بالسلاح والكثرة مثل ما يحمونه بالعدل والأخلاق والدين .

مكتبتنا العربية

— ٢ —

حول جامعة للفتيات

كثيرا ما سمعناك هازلا يا دكتور طه حسين .

فمتى نسمعك — دائما — جادا ؟ ؟

لقد فاتك زمن العبث ، وخاضت بك الشيخوخة فى مسالك الجد ، ولكنك تتصابى وتأبى إلا المجون ، ويبدو من حرصك على قديم عادتك ، ودأبك على اللجاجة فيما أنت مفتون به ، أنك لم تعد ترجو لمصر أن تعيش مسلمة كما عاشت ، ولا أن تجنح إلى دينها مهما أحبت ، ولا أن تحتفظ بشرقيتها وإن كانت نقطة الارتكاز بين شعوب الشرق ، أو كانت ملتقى العروبة من كل واد .

وما نسى الناس مذ عرفوك أنك تبتغى مصر محاكية لأية جهة غربية ، وإن كانت تلك الجهة مدينة لهو ، وبؤرة فساد ، ومنشأ ضلالات . حتى إذا وجدت القرآن يقف فى سبيل أمنيتك ، فالقرآن يكون غير حجة ملزمة ، والأخذ به عندك تردد فى المسير . وسقوط فى الهاوية .

وشىء من تلك الرجعية يمض نفسك أسفا على مصر ، لتخلفها عن متابعتك .

وأنت تشهد الناس فيما تدعو إليه أنك تصلح من شأن مصر ما لم يصلحه الدين ، وتضفى عليها شعاراً ثقافياً لم تتوشح به مصر من قبل ، ولا يظفر به الشعب لو لم يقده طه حسين إلى حيث يريد . هكذا يقول الدكتور العميد !! فى مقاله الذى صرخ به فى وجه العاملين على إنشاء جامعة خاصة بالفتيات ، وهو مقال من تلك المسهبات التى ينفثها الدكتور طه كلما أحس من الناس غيرة دينية ، أو سمع بدعوة إلى غير ما ينزع إليه . وهو الرشيد الذى أوصاه الله بهذه الأمة !! . . .

كان الدكتور طه أول الماز حين بين الشباب فى دور العلم يوم كان مهيمناً على إحدى الكليات . ثم كان أول المتعثرين فى مزلات هذا الرأى : إذ فوجىء سريعاً بغير ما كان يظنه ، أو كان يظنه ويتوقعه ولكن كان يتوهم إخفاءه ، أو يحاول إرضاء الناس به ، ولما ثار الشباب الجامعى يوما لسوء ما يرونه بينهم ، وحاول هو أن يتنصل من العلم بذلك ، أخرسه الدكتور منصور فهمى بالحجة من واقع الأحداث فى كليته وتحت سلطانه ، غير أن استرسال السياسة

مكتبتنا العربية

الهوجاء فى مصر طغى على صيحات المتشائمين لهذا الاختلاط ، وشغل الناس عنه شاغل من ظروف المجتمع ، أو رضخ هم إلى الاختلاط يأس من مقاومته وإصلاحه ، إذ كان يؤازر الاختلاط نفوذ الأدبيين فى تلك الآونة .

ولما أتيح لزعيم الاختلاط أن يتبوأ كرسى المعارف بعد ، راق له أن يعلن نزعته تلك بحفلة راقصة دعا إليها فتيات أسبانيات ، وجمع إليهن شباب الجامعة ومن تراكم حولهم من طبقات ، فكانت الفضيحة المخزية فى وضح النهار ، وطبعاً سمع بها فى ساعتها وفى مكانها دكتور الاختلاط طه حسين .

وأخيراً جنح المصلحون فى عهد الثورة إلى انتشال الكرامة ، واستئصال الميوعة من صفوف الشباب الجامعى ، وتركيز الحياء بين الناشئة فى الجيل الجديد ، بإنشاء جامعة خاصة بالفتيات .

وفى هذا ما فيه من السبق إلى أسمى هدف من أهداف الثورة ، وهو تنشئة المجتمع الصالح ، ومن التيسير على الأسر جميعها أن تأمن على بناتها خطر التعليم العالى المختلط الذى شرعه واستنات فيه عميد الأدب !! .

إذ لا يستطيع الدكتور طه ولا أضرابه أن ينكروا أن أسراً كثيرة تستحى إلى اليوم أن تزج ببناتها وسط الشباب ، أو ينكروا أن اختلاط الجنسين كان مشأمة تغلغل شرهما فى الوسط العائلى ، بعد أن تسربت نزعة الاختلاط الجامعى إلى البيوتات بما فشا فيها من التقاليد الجامعية .

ولسنا وحدنا الذين نأسى لأن المرأة أصبحت عارية ، وأنها تسير إلى جانب الرجل وتزاحمه فى شكل أفضح مما لو كانت فى الخلوة الزوجية ، ولكن الناس مغلوبون على أمرهم .

يا دكتور طه ! ! صدقنى أن منظر المرأة والفتاة أصبح فى مصر مخزاة ، وأصبح سبباً فى بوار الصالحات للزيجة ، فتعطل مستقبل عزيز عليهن .

وما جنى على الفتيات وأكسدهن غير فتنة الفاتنين لهن من دعاة الاختلاط الذى زعمه الزاعمون حرية ونضوجاً .

يا دكتور طه ! ! عشت طويلا فى موجات حزبية مضطربة ، وانسجمت فى عهود متقلبة ، فكان لصوتك مجال ، ولقلمك صيال ، ولرأيك أنصار .

وأنت اليوم فى عهد ثورة إصلاحية قامت لتنقض الفساد من أساسه ، وتبنى صرح الأخلاق على دعائم قوية من التربية الحقة الصحيحة ، فدع زمن غيرك لغيرك ، وحسبك ماقدمت يداك؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

الكتب

قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة

لشيخ الإسلام ابن تيمية — ١٧٥ ص — المطبعة السلفية

الإسلام هو الذى كان عليه المسلمون فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل به الصحابة بعده وتلقاه عنهم التابعون لهم بإحسان ودعا إليه الأئمة المتبوعون ، فكل ما ينسب إلى الدين وكان مما ثبت العمل به فى صدر الإسلام والأجيال الثلاثة الأولى فهو الإسلام ، وما انحرف عن ذلك فالخير كل الخير بالعدول عنه والرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى ونصوصه الثابتة التى حفظها الله فى كتابه وفى دواوين السنة الصحيحة .

والذى نشر إلى الآن من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قد امتاز ببيان ما كان عليه الإسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والأجيال الثلاثة الأولى مؤيداً بالنصوص الصحيحة معزوة إلى مصادرها الموجودة فى أيدى المسلمين والمعمول بها من أئمتهم فى أزمنة الخير . ومنها هذا الكتاب النفيس الذى يعلن أن وسيلة المسلم إلى ربه طاعة الله والعمل الصالح وحسن الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وأن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الذنوب من أمته متفق عليها ، وأن من تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال ، وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهى بدعة سيئة وضلالة باتفاق المسلمين ، وحديث ابن مسعود « خط لنا النبى صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ، وقال (أى عن الخط الأول) : هذا سبيل الله . (ثم قال عن الخطوط الأخرى) : وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه » . والكتاب يدور حول بيان الشرع الأعظم الذى دل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بالخط الأول ، وبيان بقيات الطريق المنحرفة عن الخط الأول وهى سبل الشيطان .

مكتبتنا العربية

وقد جرب المسلمون فى تاريخهم أن الخير كل الخير فيما كان عليه المسلمون فى الصدر الأول ، فالخير كل الخير فى الكتب التى تدل على ما كان عليه الإسلام فى ذلك الحين ، وهذا الكتاب فى طليعتها ، وقد طبع طبعا نفيسا على ورق جيد ، وصححت فيه أخطاء الطبعات السابقة ، فنلفت الأنظار إليه .

حجاب المرأة المسلمة فى الكتاب والسنة

للأستاذ محمد ناصر الدين الالبانى — ١٠٤ ص — المطبعة السلفية

الشيخ محمد ناصر الدين الساعاتى عالم ألبانى اختار الهجرة إلى دمشق والإقامة فيها وخدمة السنة المطهرة من ينابيعها الصحيحة ، وقد نشر له منذ عهد قريب رسالة فى (حجة النبى صلى الله عليه وسلم) وهى حجة الوداع كما رويت فى الأحاديث الصحيحة ، وهذا كتاب آخر له عن حجاب المرأة المسلمة استقصى فيه ما ورد عن ذلك فى كتاب الله ومتون الأحاديث ليكون المسلمات على بينة من الزى الإسلامى الذى ينبغى لهن توخى مرضاة الله بالرجوع اليه فيكون زينة لهن يوم يعرض الناس على الجنة أو النار ، وقد ذكر المؤلف للحجاب الإسلامى ثمانية شروط : أن يستوعب جميع البدن إلا ما استثنى ، وأن لا يكون الثوب زينة فى نفسه ، وأن يكون صفيقا لا يشف ، وأن يكون فضفاضا غير ضيق ، وأن لا يكون مطيبا ، وأن لا يشبه لباس الرجل ، وأن يبتعد به عن التشبه بالأغيار ، وأن لا يكون الثوب لباس شهرة يلفت الأنظار .

وإن المرأة المسلمة إذا وقفت من هذا الكتاب على نصوص الإسلام فيما ينبغى لها أن تكون عليه فى لباسها وصونها ستتبين لها المسافة البعيدة فيما بينها وبين ما يحبه الله لها ، وسيحملها ذلك على الاعتدال تقربا إلى الله وإلى الزى الذى يحبه لها الله ، وقد أحب الله لها ذلك ابتعاداً بها عما يؤذيها ، ودلالة لها على الطريق إلى السعادة البيتية والهناء فى حياة الأسرة ، وهى متعة نسيها الجمهور الأعظم من نساء المسلمين منذ انغمسن فى تيار الإغراء الأجنبى فصرن إلى ما هو مشاهد الآن من بذخ ولهو وتحلل وقلق لن ينقذهن منه ويعيدهن إلى السعادة والهناء إلا الرجوع إلى حظيرة الإسلام .

مكتبتنا العربية

بشار بن برد

للدكتور طه الحاجرى — ١٠٤ ص — دار المعارف بمصر

هذه هى الحلقة الثامنة من سلسلة نوابغ الفكر العربى ، ألم فيها الدكتور طه الحاجرى بعصر بشار ، فتكلم على الحياة الاجتماعية والحياة السياسية فيه توطئة للكلام على الحركة الفكرية وما تنطوى عليه من الحياة العقلية والحياة الأدبية .

ثم انتقل إلى حياة بشار ، وشخصيته ، وصلته بسياسة عصره حتى كان فى خلافة المهدى من شعراء قصر الخلافة المبرزين برهة تغير حال الخليفة عليه بعدها لأسباب منها تشبيبه بالنساء ، فعاد إلى البصرة يطلق لسانه بالطيب والخبيث من نفثات شعره إلى أن أسندت إليه تهمة الزندقة فانتهت بذلك حياته التى تنم عن طبيعة الاستخفاف والسخرية ، وعن الشاعرية الهاجية الساخرة .

وفى فصل من الكتاب تناول الدكتور الحاجرى الكلام على آثار بشار ونواحى شعره ، وعقد بعده فصلا لمنتخبات من آثاره ، وبذلك جلا لهذا الشاعر النابغة الساخر صورة من حياته أبرزته للناس كما هو .

النحلة الأحمدية وخطرها على الاسلام

للأستاذ محمود الملاح — ٨٨ ص — مطبعة أسعد فى بغداد

من النحل المعاصرة التى غذاها الاستعمار وشجعها وبادلها وفاء بوفاء النحلة التى ابتدعها غلام أحمد القاديانى (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وافترقت بعده فرقتين إحداهما بزعامة ابنه محمود بشير الدين وتسمى القاديانية ، وهى تصرح بما كان يصرح به أبوه من أنه نبى يوحى إليه ، لكنه بزعمهم نبى محمدى كما كان الأنبياء بين موسى وعيسى أنبياء موسويين . أما الفرقة الأخرى فهى التى بزعامة محمد على اللاهورى ، وقد تهربت من عنوان القاديانية بعد افتضاحه بين المسلمين فانتحلت اسم (الاحمدية) ، وهى أخطر من الفرقة الصريحة لأنها اصطنعت نافقاء تهزأ بها من ضعاف العقول فتزعم لهم أن غلام أحمد القادياني كان مصلحا ولم يكن نبيا . لكن مؤلفات غلام أحمد القادياني المطبوعة مراراً والموجودة فى الأيدى تصرح

مكتبتنا العربية

بلا خوف من الله والناس بأنه نبي ، وبأن الإمامة الشرعية التي يدين بها هي للجالس على العرش البريطاني ، وبأن الجهاد الإسلامي قد نسخ بكتب القادياني ومنشورات دعوته .

هذا هو غلام أحمد القادياني . وهاتان الفرقتان هما اللتان لا تزالان تتشدقان بدعوته ، تحافظ إحداهما على شيء من صراحة المؤسس المأفون ، وتتستر الأخرى بنافقاء من عنوانها ودعوى الإصلاحية . وقد كتب المسلمون في الهند ومصر وغيرهما الشيء الكثير عن هذه النحلة ومؤسسها ، وأمامنا الآن رسالة جديدة عنها بقلم الأستاذ محمود الملاح تناولها بقلمه الرشيق وبيانه المتوثب ، ومن الخير أن يكثر الكاتبون في هذا الموضوع لأن الأحمديين والقاديانيين لهم شبكة دعاية منظمة واسعة النطاق في الشرق والغرب لتصيد ضعاف العقول والدين من الرجال والنساء . فالتنبيه إلى حقيقتهم من الجهاد الذي هو فرض كفاية ما دامت الحاجة ماسة إليه .

البابية والبهائية

للأستاذ محمود الملاح — ١٠٠ ص — مطبعة أسعد ببغداد

وهذه رسالة أخرى للأستاذ الملاح كتبها بعد الفراغ من رسالته التي ذكرناها آنفا عن النحلة الأحمدية ، وقراء مجلتنا لا يزالون على ذكر من بحثنا المطول عن البهائية وتاريخها وإلحادها وقد نشر في جزءي رجب وشعبان من العام الماضي ، والأستاذ محمود الملاح يرجع بتاريخ البابية والبهائية إلى جذورهما العميقة في عبادة الأشخاص وتأليههم من عهد المعلم اليهودي ابن سبأ ، بل يرى أن بدعة الغلو في الأشخاص أقدم من المسيحية ، ولليهودية حصة من ذلك .

وأصل كتاب الأستاذ الملاح عن البابية والبهائية فصول نشرها في جريدة (السجل) البغدادية ، وكثير مما فيها تعليق على كتاب لداعية بهائي عنوانه (البيان والبرهان) ويذهب المؤلف إلى علاقة البهائية بالصهيونية والاستعمار وخدمة البهائيين لهما في ظروف مختلفة ، ويرى أن الاستعمار يحاصر الإسلام بأربع نحل : الماسونية وهي في درجة الصفر ، والبهائية وهي ماسونية مبرقعة بعقيدة مزيفة ، والأحمدية وهي إسلام مزيف بالمسيحية ، والقاديانية وهي مسيحية مزيفة بالإسلام .

ورسالة الأستاذ الملاح لطيفة رشيقة تتخللها ملاحظات وتنبيهات تلفت أنظار القراء المسلمين إلى حقائق قلما يجدونها في كتب أخرى .

مكتبتنا العربية

بستان الاحبار ـ مختصر نيل الاطار

للشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ـ جزءان ١٢٧٠ صفحة ـ المطبعة السلفية

(المنتقى من أحاديث الأحكام) لمجد الدين عبد السلام ابن تيمية (٥٩٠ ـ ٦٥٣) - وهو جد شيخ الإسلام تقي الدين - من أجمع الكتب للأحاديث المعتبرة التي هي مرجع جميع مذاهب الفقه الإسلامي في الأحكام ، انتقاه من صحيحي البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه ، ومن التعاون التشريعي السليم بين المذاهب الإسلامية قيام القاضي الشوكاني (١١٧٢ ـ ١٢٥٠) بشرحه على طريقة علماء الحديث معتمدا على أساليب الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأمثاله ، وشرحه معروف باسم نيل الأوطار وقد تكرر طبعه في مصر .

ولما كان نيل الأوطار مطولا في ثمانية أجزاء ، فقد رأى فضيلة الأستاذ الشيخ فيصل ابن عبد العزيز آل مبارك قاضي الجوف في المملكة العربية السعودية أن يختصره مقتصراً فيه على الناحية الفقهية مع إضافة أحكام مذهب الإمام أحمد بن حنبل مقتطفة من اختيارات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وغيرها ، وسماه بستان الأحبار ، وقد جاء في جزءين ضخمين ، وهو مرتب - كأصله نيل الأوطار - على أبواب الفقه ، فقه العبادات ، وفقه المعاملات والقضاء ، مبتدءا بكتاب الطهارة ومختتما بكتاب الأقضية والأحكام .

ومما يمتاز به هذا الشرح المختصر لكتاب المنتقى من أحاديث الأحكام ترقيم أحاديثه بأرقام متسلسلة من أوله إلى آخره وقد بلغ عدد أحاديثه المشروحة خمسة آلاف حديث وتسعة وعشرين حديثا .

وقد طبع على نفقة الأستاذ الشيخ عبد المحسن أبا بطين صاحب المكتبة الأهلية في الرياض عاصمة نجد بعناية المطبعة السلفية وتصحيحها ، وهو يغني عن نيل الأوطار كل من يحب الاقتصار على الجانب الفقهي من الأحكام وأدلتها ولا يهمه اختلاف المذاهب الذي تصدى له الشوكاني فوسع به كتابه .

أما أصل الكتابين وهو (المنتقى من أحاديث الأحكام) فأجود كتب السنة في بابه وقد وصف الشيخ ابن مالك مؤلفه مجد الدين ابن تيمية فقال عنه « ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد » .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

البعوث الازهرية

بلغ عدد المدرسين الذين بعث بهم الازهر فى هذا العام إلى مختلف الاقطار العربية والإسلامية ١٨٤ مبعوثا بزيادة أربعين على عددهم فى العام الماضى .

كما أوفد بعثتين إلى كل من انجلترا وفرنسا يبلغ عدد أعضائهما اثنى عشر عضوا أتم بعضهم دراسته وحصلوا على درجات علمية .

ويعمل الازهر على تعزيز علاقاته الثقافية ببلاد أندونيسيا والباكستان والصومال وأوغنده وكينيا .

تعريب

المصطلحات الفنية والصحية

فرغ المكتب الاقليمى الصحى لدول الشرق الاوسط بالاسكندرية أخيرا من ترجمة جميع المصطلحات الفنية والصحية المتداولة فى أعمال المكتب إلى اللغة العربية ، وذلك استجابة لرغبة دول الإقليم فى استعمال اللغة العربية فى جميع الاعمال والمكاتبات المتبادلة بين المكتب ودول هذا الاقليم .

وقد علمت « وكالة مصر » أن الدكتور على شوشة مدير هذا المكتب سيحمل معه عند سفره إلى بيروت لحضور اجتماعات اللجنة الاقليمية الصحية - التى ستنعقد فى ٢٧ سبتمبر الحالى - تقريرا هاما يتكون من ٣١ صفحة فولسكاب ، عن جميع المصطلحات التى تم تعريبها .

كما ستسافر إلى بيروت فى الاسبوع الثالث من هذا الشهر بعثة من السكرتيرين الذين سيتولون تسجيل ماسيدور فى جلسات اللجنة الاقليمية الصحية باللغة العربية .

دراسة شئون المكتبات

تعقد وزارة التربية والتعليم المصرية دراسة فى شئون المكتبات فى شهرى نوفمبر وديسمبر من هذا العام يحضرها ستون من مدرسى القاهرة والجيزة الحاصلين على مؤهلات عالية وهم إلمام باللغات الاجنبية .

مكتبة لمصر

عن بحوث الاستخدام السلمى للطاقة الذرية

أهدت حكومة الولايات المتحدة الامريكية لمصر مكتبة تجمع المؤلفات الخاصة بالاستخدام السلمى للطاقة الذرية ، وقد احتفل مجلس

مكتبتنا العربية

البحوث القومى بتسليم السفير الامريكى فى مصر هذه الهدية إلى لجنة الطاقة الذرية المصرية ، وقال السفير عند تقديم المكتبة الذرية إلى وزير التربية والتعليم بوصفه رئيس لجنة الطاقة الذرية المصرية :

« إن هذه المكتبة أحدث وأهم المعارف الخاصة باستخدام الذرة فى سبيل عالم أسعد لنا جميعا . وسيتوق العلماء المصريون إلى أن تتاح لهم هذه المعلومات الهامة ، وسيجدون أن المعلومات التى حصل عليها غيرهم خلال سنوات من البحوث والتجارب معلومات نافعة قيمة » .

وتتكون المكتبة المهداة من ثلاث مجموعات : منها ٦٥٢٥ تقريرا فنيا . و ٢٨ كتابا هى مجموعة الكتب التى تملكها لجنة الطاقة الذرية الامريكية فى هذا الموضوع ، و ٩ كتب من مقتطفات العلوم الذرية تتضمن خمسين ألف تقرير فى و ٤٥ ألف بطاقة ملخصة تفهرس لبعض المواد الخاصة بالطاقة الذرية .

وعاظ الأزهر

كما يقوم رجال الوعظ من علماء الازهر بتذكير الجماهير - فى جميع أنحاء بلاد الجمهورية - بما يجب عليهم لله والأسرة والمجتمع ، فإنهم يقومون إلى جانب ذلك بالتوسط فى الصلح والتوفيق بين المختلفين من الأسر والأفراد .

وقد بلغ عدد المحاضرات الدينية التى ألقاها الوعاظ الأزهريون فى العام الماضى مائة ألف محاضرة دارت كلها حول تبصير الأهالى بشئون دينهم ودنياهم ، وعقدوا اثنين وأربعين ألف اجتماع للصلح بين الأهالى .

بدء الدراسة فى الأزهر

تبدأ الدراسة للعام الجديد فى كليات الأزهر ومعاهده يوم ١٥ اكتوبر المقبل .

وتبدأ الدراسة كذلك فى هذا الموعد بمعهد دراسة اللغات الشرقية والغربية الذى تقرر إنشاؤه هذا العام .

وينتظر افتتاح أربعة معاهد أهلية جديدة فى إسنا وقوص وأسوان وأولاد طوق ، وينتظر ضمها إلى الكيان الأزهرى فى العام المقبل .

سحب الطلبة السعوديين من المدارس الأجنبية

صممت المملكة السعودية على سحب جميع الطلبة من رعاياها من المدارس الأجنبية ، والذين كانوا منهم فى المدارس الأجنبية بمصر قد اتصلت القنصليات السعودية بمناطق مصر التعليمية لتيسير قبولهم فى المدارس المصرية .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

عودة الأستاذ الأكبر

عاد بسلامة الله من رحلة أندونيسيا والشرق حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر والبعثة الأزهرية التى كانت برئاسة فضيلته وتتألف من حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ توفيق النحاس مراقب البحوث والثقافة المساعد ، والشيخ صادق عرجون شيخ معهد الإسكندرية ، والشيخ محمد سليمان البحيرى الاستاذ بكلية اللغة العربية ، والشيخ أحمد القط مفتش الوعظ بأسيوط ، والشيخ يوسف الهمذانى فى قسم البحوث . وكانت هذه الرحلة مباركة وموفقة ، فحققت بالعمل الرابطة الإسلامية بين مصر والأزهر الشريف وبين البلاد التى حلت فيها ذهابا وإيابا ، ولا سيما جزائر أندونيسيا على اختلاف مقاطعاتها . وقد ابتهجت تلك البلاد كلها وفى طليعتها علماؤها وجمعياتها الإسلامية بلقاء فضيلة الاستاذ الأكبر الذى يعتبرونه رأس أعظم معهد علمى إسلامى فى دنيا المسلمين ، وتبادلوا مع فضيلته الأمانى راجين من الله عز وجل تحقيقها . وقد استقبل فضيلة الاستاذ الأكبر فى المطار يوم وصوله صباحا استقبالا شائقا دل على ما لفضيلته من عظيم الحرمة والإجلال فى نفوس الجميع ، ثم عرج على منزله للاستجمام وتقبل تهانى المسلمين عليه ، وفى حوالى الساعة العاشرة استقبل فى الأزهر استقبالا عظيما ، جعل الله هذه الرحلة مباركة عظيمة الأثر حميدة النتائج .

تمرد السلاح الجوى الفرنسى

وهتافه : مراكش للمراكشيين

تمرد أربعمائة جندى فرنسى من جنود سلاح الطيران فى باريس ورفضوا ركوب القطار إلى مرسيليا للسفر إلى شمال افريقيا . وقد نشبت معارك بينهم وبين قوات البوليس فى باريس ، وكان جنود السلاح الجوى المتمردون يهتفون : مراكش للمراكشيين . لا نريد الذهاب إلى شمال افريقيا .

وألغى المقيم العام الفرنسى سفره إلى فرنسا فجأة بعد أن كان قد استدعى لحضور الاجتماع الوزارى فى باريس للبحث فى قضية المغرب ، فاضطر إلى البقاء للاشراف بنفسه على جهاز الأمن .

الاتفاق الفرنسى

مع السلطان الشرعى للمغرب

مما اتفق عليه الجنرال الفرنسى كانرو مع السلطان الشرعى للمغرب مولاى بن يوسف أن تعترف فرنسا بأن مراكش دولة حرة ذات سيادة ، وأن ينتقل السلطان الشرعى من منفاه فى مدغشقر إلى فرنسا ، وأن يترك الأمر للمراكشيين ليقرروا مستقبلهم كما يشاءون ، وينحى السلطان بن عرفة ، ويعين مجلس وصاية على العرش من ثلاثة أشخاص ، وهذا المجلس يعين حكومة اتحادية وطنية تضم ممثلى الحركات الرئيسية السياسية فى مراكش ، وهذه الحكومة الجديدة تقوم بمفاوضة فرنسا لبحث العلاقات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والثقافية على أن تحتفظ فرنسا بمركز لها فى مراكش يمتاز على الدول الأخرى ، ويوجه مولاى محمد بن يوسف نداء إلى مواطنيه ليوقفوا جميع أعمال الثورة .

الانقسام السورى

تحررت سوريا فى هذا الشهر من آخر قيد اقتصادى بقى فيها من عهد الفرنسيين وهو المصرف المالى الفرنسى الذى كان يسمى البنك السورى فاتفقت وزارة المالية السورية مع ممثلى هذا البنك على إنهاء امتيازه فى سوريا فى مقابل تعويض قدره ٣٠٠ ألف ليرة سورية (نحو ٣٢ ألف جنيه) عن كل سنة من السنوات الثمان التى بقيت له من مدة امتيازه

وإن إنهاء عمل البنك السورى فى سوريا يعد خطوة لتأسيس بنك مركزى قومى يتولى مهمة الإصدار بعد انتهاء فترة الانتقال التى حددت بستة أشهر .

قتل المغاربة بأسلحة أمريكية

أعرب الرئيس جمال عبد الناصر للسفير الأمريكى عن قلق مصر لتطورات الموقف فى المغرب العربى ، واستعمال فرنسا العنف والتقتيل فى هذا الشعب الأعزل الذى يطالب بحريته وحقه فى الحياة .

وقال الرئيس المصرى للسفير الأمريكى : إن الحكومة المصرية تعتبر استخدام القوات الفرنسية المتخصصة لحلف الأطلنطى ، والأسلحة الحربية الخاصة بهذا الحلف ، فى سحق المواطنين العرب فى شمال إفريقية ، عملا عدائيا موجها إلى العرب جميعا لا من فرنسا وحدها ولكن من جميع الدول المشتركة فى حلف الأطلنطى والتى سمحت لفرنسا بهذا البغى .

وطلب الرئيس المصرى من السفير الأمريكى إبلاغ ذلك إلى الحكومة الأمريكية

مكتبتنا العربية

صلاة الغائب

على أرواح شهداء الجزائر والمغرب

أقيمت صلاة الغائب فى جميع مساجد الجمهورية المصرية على أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وكان ذلك فى يوم الجمعة ١٥ المحرم

أما فى القاهرة فكانت صلاة الغائب فى الأزهر الشريف ذات روعة عظيمة وقد صلى بالناس الجمعة وأمهم فى صلاة الغائب وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقورى بعد خطبة عظيمة فى الإســـلام والجهاد ، وما كان عليه المسلمون وما يجب أن يكونوا عليه . وكان عدد الذين سمعوا الخطبة وصلوا صلاة الغائب نحو مائتى ألف كما قدرته جريدة الجمهورية .

وقد أقيمت صلاة الغائب فى أقطار إسلامية أخرى كالأفغان وعاصمتها كابل .

تبرع لطلبة الأزهر

فى يوم الجمعة الذى أقيمت فيه صلاة الغائب بالجامع الأزهر عن أرواح شهداء الجزائر والمغرب ، وقد حضر الصلاة الأمير الجليل عبد الله الجابر الصباح وزير معارف الكويت ، تكرم فأعلن تبرعه لطلبة الأزهر بعشرة آلاف جنيه ، وكتب فى الحال شيكا بالقيمة على أحد المصارف المالية وسلمه إلى حضرة صاحب الفضيلة وكيل مشيخة الأزهر .

وقد اتجه التفكير إلى شراء عقار بهذه القيمة يصرف ريعه فى كل سنة على المتفوقين من نجباء الطلبة الأزهريين ، وبذلك ستكون هذه المكرمة خالدة الأثر دائمة الذكرى لهذا التجاوب القلبى بين الأمم الإسلامية والشعوب العربية .

الإصلاح الزراعى

فى عامه الثالث

احتفلت اللجنة المصرية للإصلاح الزراعى بالعيد الثالث لهذا العمل الاجتماعى العظيم ، فأقامت لذلك حفلا بهيجا فى حديقة قصر عابدين .

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الإصلاح الزراعى استولى فى ثلاث سنوات على أكثر من ثلاثمائة ألف فدان وزع منها حوالى ربع مليون فدان ، ويضاف إلى ذلك ١٤٥ ألف فدان من مبيعات المادة الرابعة .

وسيتسلم الإصلاح الزراعى فى عامه الرابع ١٥٠ ألف فدان ، وسيقوم بتوزيع مساحة تعادل ذلك ، وبهذا يكون برنامج الإصلاح الزراعى قد سبق الأمد الذى كان محدداً له .

مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
	من شعب إلى شعب	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
١١٣	سفراء التربية والتعليم	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١١٦	نفحات القرآن : مناجاة القرآن للعقل والعاطفة	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
١٢١	السنة : من أدب النبوة	« طه محمد الساكت . . . . .
١٢٥	الجريمة والحدث	« محمد عطية راغب المحامي . . . .
١٢٧	الزمان يمضي	« صابر علي رمضان . . . . .
١٢٩	من مآثر الأنصار	« محمد محمد أبو شهبة . . . . .
١٣٣	حديث الفتوة في القرآن	« أحمد الشرباصي . . . . .
١٣٩	الألفاظ والآداب العربية والعامية	« أحمد طه السنوسي . . . . .
١٤٣	مواقف خالدة لعلماء الأزهر	« محمد رجب البيومي . . . . .
١٤٩	إلى الله	« محمد محمد خليفة . . . . .
١٥٢	نظام نقد إسلامي بلا أرباح	« علي محمد سرطاوي . . . . .
١٥٧	نظرية الحرية في الشريعة الاسلامية . . .	« محمد محيي الدين المسيري . . . .
١٦٧	الفتوى	« محمد علي النجار . . . . .
١٧٢	حلاوة الإيمان	« محمود فرج العقدة . . . . .
١٧٨	التشاؤم مرض	« علي العماري . . . . .
١٨١	هل للمرأة حقوق سياسية ؟	« محمد صابر عاشور . . . . .
١٨٦	جبل ثور بالمدينة	« محمد فؤاد عبد الباقي . . . . .
١٩١	كيف كان عمر بن الخطاب ينتخب قضاته . .	« محمد شريف المستشار السابق . . .
١٩٣	من حق المرأة المسلمة استشارتها قبل تزويجها	« طه الزيني . . . . .
١٩٧	جرائم الشباب	« حامد محمود اسماعيل . . . . .
٢٠١	الاجتهاد والتقليد	« عبد الله المراغي . . . . .
٢٠٥	سعيد بن المسيب	« عبد الله قاسم صقر . . . . .
٢٠٨	مؤتمر إسلامي في اندونيسيا يقرر بأن الشيوعية دين يخالف الاسلام	

تعليقـــات

٢١٠	عبد الله جابر الصباح . من هو ؟	الأستاذ عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
٢١٢	حول جامعة الفتيات	« « « « « « «
٢١٤	الكتب	المجلة
٢١٩	الأدب والعلوم	«
٢٢١	أنباء العالم الاسلامي	«